

الأمير الأرمني هثون ومشروع حملته الصليبية على الشرق الإسلامي عام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م

الدكتور عبد الرحمن محمد العبد الغني

قسم التاريخ

كلية الآداب

جامعة الكويت

يُعد مصنف الأمير الأرمني هثون Hethoun^(١)، أو هايثون Hayton^(٢) "زهرة تواريخ الشرق La Flor des Estoires de La Terre d'Orient"^(٣) من أهم مصادر تاريخ وجغرافية شرقي آسية طوال قرن من الزمن يمتد من النصف الثاني من القرن الثالث عشر حتى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن معلوماتنا عن هثون من واقع المصادر المعاصرة له نادرة للغاية، وقد استقيننا تلك المعلومات من حديثه عن نفسه، ولم يرد ذكر ترجمته في أي مصدر آخر حتى يتسنى لنا عقد دراسة مقارنة بينها و معرفة مدى دقة المعلومات

الواردة بداخلها (٥) .

وقد ثار الخلاف حول تاريخ ميلاد هثون وتاريخ وفاته، فيرى البعض أنه قد ولد فيما بين ١٢٣٠م و ١٢٤٥م^(٦)، دون تحديد سنة بعينها، أما تاريخ وفاته فقد ذكر البعض أنه توفي عام ١٣٠٧م / ٧٠٧هـ^(٧)، بينما يرى آخرون أن ذلك كان عام ١٣٠٨م / ٧٠٨هـ^(٨). وثمة فريق آخر يرى أن وفاته كانت في عام ١٣١٠م / ٧١٠هـ^(٩)، أما الفريق الرابع فيدرج وفاته ضمن أحداث عام ١٣١٥م / ٧١٥هـ^(١٠). ورغم هذا الخلاف الواضح والتضارب حول تحديد هذا التاريخ يؤكد المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه Rene Grousset أن وفاته كانت بعد عام ١٣١٤م / ٧١٤هـ^(١١). وقد اقترب من رأيه العالم الألماني كوهلر Köhler حيث قال إنه من المحتمل أن وفاة هثون كانت عام ١٣١٤م / ٧١٤هـ في مملكة أرمينية الصغرى التي عاد إليها بعد أن أقام فترة في أوروبا تمتد من أواخر عام ١٣٠٦م / ٧٠٦هـ حتى بدايات عام ١٣٠٨م / ٧٠٨هـ^(١٢).

أما فيما يتعلق بالتاريخ الباكر لأسرة الأمير هثون فمن الصعب تحديده بدقة وكلها معلومات مستمدة من مُصنّفه حيث يخبرنا أنه ابن أوشين Oschin^(١٣) أحد أشقاء هثوم الأول (١٢٢٦-١٢٦٨م) Hethoum I ملك أرمينية الصغرى^(١٤).

وقد تزوج هثون من ايزابو Isabeau ابنة كل من جي ابلين Gui d'Ibelin وماري Marie ابنة عمه هثوم الأول^(١٥). وقد أنجبت له أربعة ذكور وبناتاً واحدة. ومن المعتقد أن زواجه هذا قد تم في عام ١٢٨٠م / ٦٧٨هـ وكانت زوجته مازالت على قيد الحياة حتى عام ١٣٠٦م / ٧٠٦هـ^(١٦).

ولقد أمضى هثون طفولته في بلاط عمه الملك هثوم الأول علماً بأن مملكة أرمينية الصغرى^(١٧) شهدت طوال عهده الذي استمر من عام ١٢٢٦م حتى عام ١٢٦٨م ازدهاراً واضحاً لم تشهده من قبل، ومن المعتقد أن هثون استمد مادته التاريخية عن التتار Tartarius^(١٨) عن رواية عمه الملك الأرمني^(١٩)، الذي كان يسعد بسردها على

أولاده وأولاد أشقائه، بل كان أحياناً يملئها عليهم^(٢٠). وبلوغ هثون سن الشباب شارك عن قرب في أحداث غرب آسية خاصة وأنه قام بزيارة الكثير من البلدان، ليس فقط المجاورة لمملكة أرمينية الصغرى، بل أيضاً تلك البعيدة عنها ويؤكد ذلك دقة المعلومات التي زوّدنا بها عن تلك البلدان في مواضع متفرقة من مصنفه^(٢١).

كان أوشين والد هثون أميراً على قلعة جوريجوس Gorigos^(٢٢) وبوفاته عام ١٢٦٥م أصبح هثون سيداً عليها^(٢٣)، وبالتالي دس أنفه في الأمور السياسية لمملكة أرمينية الصغرى حيث نجده ينضم هو وشقيقه إلى صفوف الأمراء المعارضين لفكرة عودة هثوم الثاني Hethoum II (١٢٨٩-١٢٩٣م) و (١٢٩٩-١٣٠١م) إلى عرش المملكة الأرمينية ثانية بعد انسحابه إلى أحد الأديرة^(٢٤)، وبالتالي حدث جفاء بين الطرفين، إلا أن بطريك الأرمن جريجوار السابع (١٢٩٣-١٣٠٧م) Gregoire VII نجح في عقد مصالحة بين هيثوم الثاني وبارونات^(٢٥). وحينئذ ارتبط هثون أمير جوريجوس ارتباطاً وثيقاً بهيثوم الثاني فرافقه في رحلته إلى بلاط خان التتار غازان خان (١٢٩٥-١٣٠٤م/٤٩٦-٧٠٣هـ) وكان ذلك عام ١٢٩٥م/٦٩٤هـ^(٢٦)، كما شارك هثون في معركة حمص التي انتصر فيها غازان خان على ممالك مصر في ديسمبر عام ١٢٩٩م / ١٧ من ربيع الأول عام ٦٩٩هـ^(٢٧) وكان شاهداً على سقوط دمشق^(٢٨) وبعض الانتصارات الأخرى التي حققها التتار وتحدث عنها بفخر في مصدره^(٢٩).

وقد صمد هثون في مواجهة المماليك الذين حاولوا فتح مملكة أرمينية الصغرى عام ١٣٠٤م/٧٠٣هـ^(٣٠)، وقد اضطر هثون بسبب تقدم السن من ناحية وزهده في الحياة من ناحية أخرى إلى تسليم قلعة جوريجوس التي كان أميراً عليها إلى الملك الأرمني هيثوم الثاني تنفيذاً للنذر كان قد قطعه على نفسه تعهد فيه بالانخراط في سلك الرهبنة وبالفعل التحق بدير نوتردام لبسكوبي Notre Dame de L'Episcopie التابع لهيئة بريمو سترية Premostres للرهبان الكاثوليك في لابايس Lapais في قبرص^(٣١) واتخذ اسماً

دينيا إذ أصبح يعرف (الأخ أنطونيوس Frater Antonius)^(٣٢). وبعد ذلك بفترة قليلة وبموافقة رهبان ديرِه انتقل إلى أوروبية حيث قام بزيارة روما وأفنيون Avignon، ثم عينه البابا كليمنت الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤م) Clement V^(٣٣) رئيساً لأحد الأديرة في إقليم بروفانس Provence، وكلفه بإعداد مشروع حملة صليبية لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين، وبالفعل أتمَّ مشروعه وقدمه إليه في شهر أغسطس من عام ١٣٠٧م / ربيع الأول لعام ٧٠٧هـ^(٣٤).

والجدير بالذكر أن هثون في أثناء تواجده في بواتييه Poitiers أملى على نيقولا فلكون Nicolas Falcon مشروع حملته باللغة الفرنسية القديمة، ثم قام الأخير بترجمته إلى اللاتينية. وفي عام ١٣٥١م، قام جان لو لون ديبر Jean le Long D'Ypres بترجمة النص اللاتيني لنيقولا فلكون إلى اللغة الفرنسية القديمة ثانية^(٣٥).

هذا عن ترجمة المؤرخ الأرمني هثون، أما مصدره "زهرة تواريخ الشرق"، فقد ذكر أنه وجد من المفضل تقسيمه إلى أربعة كتب أو أقسام، ففي الكتاب الأول، تحدث هثون عن جغرافية وشعوب ومساحة أربعة عشر من الممالك والأقاليم الآسيوية^(٣٦)، وقد أفرد فصلاً مستقلاً للحديث عن كل مملكة منها على سبيل المثال أرمينية^(٣٧)، وجورجيا^(٣٨)، وبلاد الشام^(٣٩)، والهند^(٤٠)، وخراسان^(٤١)، وفارس^(٤٢)، وتركستان^(٤٣).

ولمذكرات هثون التي خلفها لنا عن هذه الممالك والأقاليم أهمية كبرى، ويعود سبب ذلك إلى أنه كان شاهد عيان عليها؛ كما قام بزيارة إلى الأماكن التي قام بوصفها في مصدره، وبالتالي زدنا بمادة علمية من الطراز الأول، لا يمكن بحال التقليل من شأنها.

أما الكتاب الثاني، الذي يحتوى على تسعة فصول، فقد تحدث فيه هثون بإيجاز شديد عن تاريخ الأباطرة والملوك والحكام في آسية؛ مع التركيز على تاريخ المسلمين والأتراك منذ ظهور الرسول عليه الصلاة والسلام حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي/ منتصف القرن السابع الهجري. ولم يفته ذكر الأصول الأولى لتلك الشعوب

،والرسائل التي تبادلوها مع غيرهم من حكام الشرق. وقد خصص الفصل الثاني من هذا الكتاب للحديث عن المسلمين والقرآن الكريم وذلك تحت عنوان:

" De La Nation des Sarazins , e de La Loi de Mahomet " (٤٤) .

وقد تناول هثون في الكتاب الثالث الذي يحتوي على تسعة وأربعين فصلاً تاريخ أباطرة التتار من عصر جنكيز خان (١٢٠٦-١٢٢٧م) أي منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي حتى القرن الرابع عشر الميلادي. وقد تحدث فيه على وجه الخصوص عن غزواتهم لغربي آسية وأوروبية، وعن حملة هولكو على بغداد وبلاد الشام وموقعة عين جالوت ، وكذلك أسهب في الحديث عن علاقة التتار بمملكة أرمينية الصغرى، ويعتبر الكتاب الثالث أضخم وأهم من الكتابين الأول والثاني (٤٥).

ومن المعتقد أن الكتب الثلاثة تعد مقدمة للكتاب الربع الذي تحدث فيه عن "اجتياز ما وراء البحار" Passage d'Outre -Mer وبذلك يصبح لدينا مصنفين متلاحمين متصلين: الأول ويشمل الكتب من الأول إلى الثالث. والثاني وقد تشكل من الكتاب الرابع بمفرده.

والكتاب الرابع وهو الذي يهم دراستنا ويعد الأهم على الإطلاق وأكثرهم إفادة وقد أفرد هثون للحديث عن مشروع خطة أعدّها لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين والوسائل الكفيلة لضمان نجاح تلك الخطوة . ويحمل هذا الكتاب عنوان:

" De Passagio Terrae Sanctae et Quae Conside Randa Sunt Antequam Guerra Inchaetur " (٤٦) .

ويتكون مشروع الحملة الصليبية لاستعادة الأراضي المقدسة من المسلمين الذي أفرد له هثون الكتاب الرابع من مصنفه "زهرة تواريخ الشرق" من ثمانية وعشرين فصلاً، وينقسم إلى قسمين متميزين لم يُظهرهما المصنف؛ ويشمل القسم الأول الفصول العشرة الأولى (٤٧) وقد تناول في تلك الفصول أحوال مصر السياسية والإدارية (٤٨)، وأحوال الجيش المملوكي في مصر والشام (٤٩)، وإشارات جغرافية

موجزة عن سلطنة المماليك والشعوب الخاضعة لها^(٥٠)، ولمحات سريعة عن تاريخ سلاطين المماليك منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي^(٥١).

ومقدمة للقسم الثاني من الكتاب الرابع، أشار هثون إلى بعض الأحداث العارضة عن الصليبيين، والمعارك التي دارت بين المسلمين^(٥٢) - وبين ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية. ويشمل هذا القسم الفصول من الحادي عشر إلى الثامن والعشرين فيه يستعرض هثون السبل والوسائل والمخططات التي "من وجهة نظره" إذا نُفذت وظهرت للنور ستضمن للصليبيين استعادة الأراضي المقدسة من المسلمين^(٥٣).

وقد ذكر هثون في القسم الأول من الكتاب الرابع أن قتال المسلمين حلال، ولا يتعارض مع العقيدة المسيحية^(٥٤). وفي هذا القول مغالطة كبرى، فالحرب حرمتها المسيحية تحريماً باتاً، فقد جاء في انجيل متى: "...أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات..."^(٥٥) إلا أنه برر ذلك بقوله إن المسلمين يحتفظون ويسيطرون على ما ورثه المسيحيون عن آبائهم^(٥٦). ويقصد بذلك الأراضي المقدسة التي ولد وعاش وبشر فيها المسيح برسالته. وينتقل هثون بعد ذلك للحديث عن مدى قوة البابوية، فيتساءل قائلاً: كيف نشك في قدرات الكنيسة الكاثوليكية، سيدة العالم؟ أليس باستطاعتها، بفضل مساعدة الملوك والأمراء الكاثوليك في غرب أوروبا، تخليص الأراضي المقدسة الخاضعة للسيادة الإسلامية؟^(٥٧).

ويُبدى هثون رأيه قائلاً: إنه ينبغي دراسة أحوال المسلمين بعناية بالغة. وعلى الصليبيين أن يضعوا نصب أعينهم موارد المسلمين الهائلة، وتحديد اللحظة المواتية لقتالهم؛ وشبه ذلك الوضع بالطبيب الذي يسعى - لكي يحسن علاج مريضه - إلى معرفة أسباب المرض وآثاره، كذلك يكون حال قائد الجيش الصليبي إذ عليه أن يعرف بالتمام والكمال أحوال عدوه الذي يستعد لقتاله. وقد أخذ هثون يتحدث عن

أحوال مصر وأحوال جيش السلطان المملوكي مسلطاً الأضواء على قدراتها القتالية^(٥٨).

ولقد أورد في هذا الصدد أن سلطان مصر والشام يدعى الملك الناصر محمد بن قلاوون^(٥٩)، وذكر أن أحوال بلاده مضطربة بسبب الثورات التي اندلعت ضده. أما جيشه - أي الجيش المملوكي^(٦٠) فيتكون من أجناس من بلدان مختلفة، وأورد أن المصريين لا يُجندون في كتائب الفرسان والمشاة ولا ينخرطون في القوات البحرية ولا البرية إذ لا يصلحون لذلك على حد قوله^(٦١)، وأن هذا قاصر على المماليك دون سواهم. وقد لاحظ هُتون بعين الفاحص المدقق قلة أعداد الجيش المملوكي من المشاة وكثرة أعداد الفرسان، وأن الجيش يتكون أساساً من المماليك. وكان الغرب الأوروبي قد سبق أن باع هؤلاء بوصفهم رقيقاً مقابل مبالغ طائلة دفعها المصريون إليهم. وقد لاحظ بعين الفاحص المدقق أيضاً أن المماليك يُخلصون بشدة لسلطانهم وأستاذهم^(٦٢).

وقدر هُتون تعداد الجيش المملوكي آنذاك بنحو عشرين ألف من الفرسان، يدخل البعض منهم في عداد المقاتلين الممتازين المتمرسين على فنون الحرب والقتال، بينما لا يخشى بأس الغالبية العظمى منهم على حد قوله^(٦٣). وأورد أن المماليك يمتطون خيولا ممتازة لكن ينقصها التدريب الجيد على فنون الحرب والقتال^(٦٤). ويلتف جند المماليك حول سلطانهم في مدينة القاهرة ويسمونها "قاهرة بابيلون Kayre de Babylone". وقد تحدث هُتون بعد ذلك عن نظم جند المماليك قائلاً إنه يتم رعايتهم على النحو التالي: (يتقاضى كل فارس راتباً سنوياً - أي الجامكية في المصطلح المملوكي - لا يتجاوز مائة وعشرين فلورين Florins^(٦٥) مقابل أن يكون في حوزته ثلاثة خيول وجمل واحد^(٦٦). وفي حال وقوع حرب خارج الحدود المصرية يصرف للجند المشاركين فيها زيادة في الراتب ويترأس جند المماليك فئة من كبار الشخصيات يطلق عليهم اسم "أمراء" يسميهم أموراتي Amurati ويتم تعيينهم من قبل السلطان

المملوكي. وهؤلاء الأمراء لهم الحق في راتب مساو لراتب عدد الفرسان الذين يترأسونهم، وبالتالي يزداد راتب القائد كلما زاد عدد فرسانه، ويقل كلما قل هذا العدد، ونتيجة لذلك حدثت بعض التجاوزات، إذ كثيراً ما يقوم الأمراء -على حد قول هتون - باستبدال الفرسان الحقيقيين بأقنان الأرض الذين لا يتقاضون راتباً، بينما يتحصلون من السلطان على رواتب هؤلاء الأقنان على أنهم فرسان. ونتج عن هذا الانحلال، أي إحلال القن مكان الفارس، قلة عدد الفرسان المسلحين والمهرة في فنون الحرب والقتال في صفوف الجيش المصري آنذاك^(٦٧).

أما عن الجيش المملوكي في بلاد الشام، فقد بلغ عدد الجيش السلطاني خمسة آلاف فارس، ينفق عليهم من دخل الأراضي المقطعة. ويضاف إلى العدد السابق جموع كثيرة من البدو^(٦٨) والأتراك، ويكلف هؤلاء بحصار القلاع والمواقع الحصينة. ولا يتحصلون على راتب. ومع ذلك يقومون بالخدمة العسكرية أملين الفوز بغنائم طائلة تعوضهم عن رواتبهم. وكذلك ضم جيش السلطان المملوكي جنداً من المشاة يتم تجنيدهم من المنطقة الواقعة بالقرب من جبل لبنان، ومن الأراضي الخاضعة لطائفة الإسماعيلية الحشيشية. وكان هؤلاء المشاة ينضمون إلى طائفة التركمان والبدو. ولقد ساد التفاهم بين الطوائف السالفة الذكر وكلف هؤلاء جميعاً بحصار القلاع والحصون كما سبق القول^(٦٩).

وبعد حديثه عن الجيش المملوكي في مصر والشام، انغمس هتون في سرد الثورات التي تعرضت لها سلطنة المماليك في مصر، والتي علق عليها قائلاً إنها كانت كثيرة ومتعاقبة، وكان من نتائجها أن عم الاضطراب ربوع البلاد، وبالتالي صعب على المماليك إلحاق الهزيمة بالجيوش الصليبية^(٧٠)؛ ولذا فإن الفرصة سانحة لبذل محاولة أخيرة لاستعادة بلاد الشام والأراضي المقدسة من المسلمين، خاصة بعد أن ساد السلام بين أمراء وملوك الغرب الأوروبي^(٧١)، هذا بينما عم الضعف بشكل غريب وملحوظ صفوف المسلمين، وأرجع ذلك الضعف إلى غزوات التتار من ناحية، وانعدام بصيرة

السلطان المملوكي الحالي أي الناصر محمد بن قلاوون - من ناحية ثانية، بالإضافة إلى امتناع معظم البلدان الخاضعة لسلطته عن دفع الجزية المفروضة عليها، وبالتالي أصبحت الخزنة خاوية واستثنى هثون من ذلك حاكم ماردين Meredin^(٧٢)؛ إلا أن التتار كانوا قد اجتاحتوا بلاده، وسلبوا أمواله، واحتفظوا به أسيراً^(٧٣).

ويذكر هثون أن التتار كانوا آنذاك على أتم الاستعداد لمساعدة الصليبيين ومناصرتهم في حربهم ضد المماليك، وأن خان التتار أولجايتو (١٣٠٤-١٣١٦)^(٧٤) -الذي يسميه هثون كربودا Carbauda- أرسل إليهم مبعوثيه ليخبرهم أنه سينهج نفس سياسة شقيقه غازان (١٢٩٥-١٣٠٤)^(٧٥) - ويسميه كاسان Cassan - وأنه موافق على المساهمة في القضاء على المسلمين. وبالتالي كان ينبغي على الصليبيين حينئذ الاستفادة دون تأخير من تلك الفرصة المواتية. ولا سمح الله حسب قول هثون إذا توفى أولجايتو، ربما يسلك خلفه سياسة مغايرة تماماً، وتكون مشاعره عكسية تجاه ممالك مصر؛ فإذا تحالف معهم، فسيصبح من الاستحالة استعادة الأراضي المقدسة، ذلك الهدف النبيل الذي من السهل تحقيقه اليوم قبل الغد بحسب قوله^(٧٦).

وتوجه هثون بحديثه إلى الحبر الأعظم - أي بابا روما - قائلاً: "لقد أمرتني بإيداء وجهة نظري فيما يتعلق بكيفية استعادة الأراضي المقدسة؛ فكوني مسيحياً، لا أتردد في تنفيذ مطلبكم"^(٧٧)، ويسترسل هثون قائلاً: "ينبغي أولاً على الصليبيين اختيار الأوقات العصبية التي تجتازها سلطنة المماليك، وانتهاز حالة الضعف والتمزق التي تعيشها، للقيام بحملة صليبية. لكن ينبغي التخلي عن ذلك إذا كانت أحوال هذه السلطنة حسنة وطيبة؛ ويحدث ذلك عادة عندما يكون السلطان المملوكي الحاكم حكيماً، فطناً، وحازماً، وأنه لا يخشى من ثورة رعاياه ولا من إغارات جيرانه. كذلك عندما يكون المماليك في مأمن من أعدائهم بسبب ضعفهم وتمزقهم وبالتالي لا يخشونهم، وتكون أحوالهم في ازدهار بسبب وفرة القمح والغلل، وليسوا في حاجة للاستيراد من

الخارج لسد الاحتياجات العادية والضرورية للحياة؛ وأخيراً عندما يكون بإمكان المماليك الاعتماد على خدمة وطاعة التركمان والبدو في كل من مصر وبلاد الشام هذه هي الأحوال والظروف التي تكون فيها سلطنة المماليك في مركز القوة، وبالتالي ينبغي التخلي عن فكرة القيام بحملة صليبية، لأنها ستواجه بقوة وحزم وتعرض للفشل والهزيمة^(٧٨).

بعد ذلك يتطرق هثون للظروف غير المواتية لسلطنة المماليك التي ينبغي على الغرب الأوروبي استغلالها لانطلاق حملته الصليبية، فيستهل ذلك بطرح سؤال: ما هي الظروف غير المواتية لسلطنة المماليك؟ ويجب قائلًا:

أولاً: عدم استقرار عرش السلطان المملوكي نتيجة اندلاع ثورات لخلعه أو قتله. فمنذ أقل من عقدين، تم قتل أربعة سلاطين، ودس السم لاثنتين، وأطيح باثنتين. أما الذي يحكم الآن، فهو السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ذلك السلطان الذي ظل أسيراً لمدة طويلة في حصن الكرك Crac، وهو معرض الآن لمحاولات تهدف لاغتياله^(٧٩).

ثانياً: انخفاض مياه النيل أو شحها. فارتفاعها وزيادتها يقابله خصوبة وازدهار الأراضي الزراعية وبالتالي وفرة المحاصيل ورخصها. أما عكس ذلك فسيؤدي إلى كارثة تتمثل في مجاعة عامة وشدة عظمى سيتعرض لها الشعب وستصبح خزانة السلطنة خاوية بحيث لا يستطيع دفع رواتب جنده ولا تغذيتهم، وبالتالي سيعجزون عن الدفاع عن البلاد والملاحظ أن السلطان إذا أراد الانتقال من مصر إلى بلاد الشام، سيتطلب ذلك اجتياز الصحراء الشرقية لمدة ثمانية أيام، فإذا لم يعمم الرخاء في المعسكرات فستموت الخيول وسيضطر الجند للتوقف عن اجتياز الصحراء لمواجهة الحملة الصليبية على بلاد الشام^(٨٠).

ثالثاً: على الصليبيين أيضاً في ظل الظروف والأحوال السابقة - احتلال الموانئ البحرية، لحرمان المماليك من استيراد حاجاتهم، أي استيراد السلع الاستراتيجية كالأخشاب والقار والحديد، تلك السلع الضرورية لصناعة السفن الحربية والأسلحة.

وفي رأي هثون فإن مصيبة واحدة من المصائب السابقة كافية للحيلولة دون تمكن المماليك من الصمود في مواجهة الصليبيين. وبالتالي سيتمكن الصليبيون بسهولة بالغة من استعادة بيت المقدس وكذلك جميع البلاد والقلاع والحصون الشامية، وطرد المصريين إلى أعماق الصحراء بحسب أحلام الراهب الأرمني هثون^(٨١).

أما الأفكار الرئيسية التي وردت في مشروع حملة هثون الصليبية والواردة في الجزء الثاني من الكتاب الرابع الذي يشمل الفصول من الحادي عشر إلى الثامن والعشرين^(٨٢)، فهي كالآتي: من المفضل أن يقوم الجيش الصليبي، قبل الانطلاق في حملته، بإرسال كتيبة استطلاعية Parvum Passagium، مهمتها تمهيد وتجهيز وتسهيل الطريق للجيش الصليبي بكاملة. واكتفى بأن تتكون تلك الكتيبة من ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة وعشر شواني^(٨٣). على أن يتم إعداد كل ذلك بسرعة ودقة ونظام، ويتولى قيادتها المندوب البابوي وقائد عسكري محنك متمرس على فنون الحرب والقتال. وعلى الصليبيين التوجه إلى جزيرة قبرص أو مملكة أرمينية الصغرى. وبناء على نصائح الملك الأرمني، سيقوم الصليبيون بإرسال مبعوثيهم إلى أولجايتو خان التتار، لكي يوافق على موضوعين: الأول: قطع جميع أشكال العلاقات والصفقات التجارية مع المسلمين؛ والثاني وهو إرسال كتائب تتارية إلى حلب^(٨٤).

ويرى هثون أن الكتيبة الصليبية الاستطلاعية سألقة الذكر ستتمكن بفضل مساندة ودعم مسيحيي الشرق وتتار فارس من بث القلق والاضطراب في المدن الساحلية المصرية. وفي هذه الحالة، سيضطر السلطان إلى تعبئة وحشد قواته لحماية الساحل والقلاع والمواقع الحصينة، كما سيجد من الضروري أيضا أن يدافع عن العديد من المواقع المهددة بالسقوط في قبضة الصليبيين في آن واحد، وبالتالي تنشبت قواته وتضعف وينتج عن ذلك عدم قدرته على صد الهجوم الأكبر الذي سيتكفل به الجيش الصليبي بكاملة^(٨٥).

ولكي يتمكن السلطان المملوكي من مواجهة هذه الهجمات المتزامنة ينبغي عليه أن ينتقل من مصر إلى بلاد الشام، إلا أن تنفيذ ذلك في تلك الفترة سيشكل خطراً عليه وعلى حياته. وسيخرج منه منهوك القوى وسيؤدي به إلى الهلاك، ويرجع هثون سبب خطورة القيام برحلة كهذه إلى إمكانية غدر الأمراء المحيطين به، وقيامهم بثورة تنتهي بالإطاحة به. أما سبب مشقة الانتقال فيعود إلى أن السلطان سيكون معرضاً لمضايقات مستمرة من قبل رعاياه من المسيحيين، إضافة إلى استنفاد جميع موارد السلطان المالية لأنه لا يمكن تخيل الكم الهائل من المبالغ المالية التي تتطلبها كل رحلة يقوم بها السلطان المملوكي خارج مصر.

أما بخصوص الشؤون العشر فستكون مهمتها قاصرة على السيطرة على الموالي المصرية وفرض الحصار البحري عليها للحيلولة دون تزويد المماليك بالسلع الاستراتيجية الهامة المستوردة من الخارج كالحديد والقار والخشب، إضافة إلى الرقيق عصب سلطنة المماليك وسبب قوتها^(٨٦).

وإذا لم يتمكن السلطان المملوكي من إرسال جيشه خارج الحدود المصرية، يرى هثون أن مسيحيي بلاد الشام سيقدمون العون للكنيسة الصليبية الاستكشافية وبالتالي - بفضل تلك المساعدة الفعالة - تتمكن تلك الكنيسة من القضاء على دفاعات وتحصينات مدينة طرابلس. ففي جبل لبنان يوجد ما يقرب من أربعين ألف ماروني - على حد قول هثون - وجميعهم من رماة السهام المهرة وسوف يسرعون بتلبية الدعوة لمساعدة الصليبيين، وبمجرد الاستيلاء على طرابلس تتمكن الكنيسة الصليبية الأولى والمكلفة بمهمة استكشافية من الاحتفاظ بها حتى قدوم الجيش الصليبي الأكبر، وستكون طرابلس بالغة الأهمية للجيش الصليبي خاصة بسبب مينائها الاستراتيجي. وهكذا ستتحول إلى قاعدة عسكرية حيوية للجيش الصليبي ونقطة ارتكاز لانطلاق الصليبيين لاحتلال ربوع بلاد الشام^(٨٧).

والجدير بالذكر أن المواردنة كانوا لا يركنون ولا يرغبون في تأييد سيادة الأجنبي فيهم، ولذلك لم يذعنوا للمسلمين الفاتحين وظلوا على حريتهم في جبالهم المنيعه، لذلك سموا "مردة". ومنذ الحملة الصليبية الأولى انضم المواردنة إلى صفوف الصليبيين فتوثقت الروابط مع الغزاة الجدد، بل ساعدوا القائد الصليبي ريمون دي سان جيل Raymond de Saint Giles في حصاره لمدينة طرابلس، كما رحبوا ترحيباً بالغاً بلويس التاسع عشر Louis IX ملك فرنسا عند وصوله إلى عكا، ففي عام ١٢٥٠م / ٦٨٤هـ أرسل أمير المواردنة ابنه الأمير سمعان على رأس خمسة وعشرين ألفاً من أفضل فرسانه لنجدة القديس لويس، وعندما اشتدت وطأة سلطنة المماليك على الصليبيين وقف مواردنة طرابلس وكسروان إلى جانب الغزاة ضد المماليك خاصة في أثناء حصار السلطان المنصور قلاوون الألفي لطرابلس عام ١٢٨٩م / ٦٨٩هـ، كما أوقعوا الهزيمة بجيش المماليك عام ١٢٩١م / ٦٩١هـ، كما انتهزوا فرصة هزيمة السلطان محمد بن قلاوون على أيدي التتار عام ١٣٠٠م / ٦٩٩هـ ليعلنوا خروجهم على طاعته ويثيروا البلبله في صفوفه ويعملوا على تحريض رعاياه وتمزيق الجبهة الداخلية وكان ذلك لصالح الصليبيين.

هكذا كان هثون عارفاً ببواطن الأمور ودارسا لعناصر السكان المقيمين في بلاد الشام، ولقد أدرك أهمية التحالف الصليبي الماروني لاستعادة الأراضي المقدسة التي أعد مشروعا من أجلها؛ وكان ملما أيضا بالعلاقات الطيبة القائمة بين الطرفين التي تعود إلى الحملة الصليبية الأولى كما أوضحنا، لذلك أراد توظيف تلك العلاقة لصالح قضيته ومشروعه.

ويرى هثون أنه في حالة سقوط بلاد الشام في أول الأمر في أيدي التتار فلا ينبغي أن يفرز الصليبيون، لأن التتار سيكونون على أتم الاستعداد لإعادة المدن التي سيستولون عليها للجيش الصليبي، ويؤكد أنه على معرفة تامة بعادات وتقاليد وتصرفات ونوايا

الشعوب التي تريد أن تؤكد للصليبيين أنهم سوف لا يتخلون أبداً عن مناصرتهم؛ إضافة إلى أن التتار لا يتحملون الإقامة في مناطق يسودها المناخ الحار، كذلك فإنهم لا يقاتلون السلطان المملوكي للاستيلاء على أرضه لأن بسط هيمنتهم على آسية كافية لهم تماماً. ويذكر هثون أن التتار لا هدف لهم من قتال السلطان المملوكي ويقدمون على ذلك فقط بدافع الانتقام والثأر من المصريين الذين ينظرون إليهم على أنهم أعداء لا يهدؤون، بل ويمقتونهم^(٨٨). ومن المؤكد أن سبب ذلك يعود إلى سحق المصريين لهم في معركة عين جالوت في ٣ سبتمبر لعام ١٢٦٠م / ٢٥ من رمضان لعام ٦٥٨هـ وما أعقب ذلك من معارك متلاحقة بين الطرفين حتى بعد اعتناق تتار فارس الإسلام.

ثم يذكر هثون المزايا الأخرى لعبور الكتيبة الاستطلاعية، فعندما يستقر أفرادها في الأراضي المقدسة سوف يتمكنون من إدراك حقيقة أحوال البلاد ومدى قوة العدو الذي سيواجه الجيش الصليبي الكبير، وكذلك طريقته في القتال، وبذلك سيجني الجيش الصليبي في حملته الكبرى ثمار تجارب الكتيبة الاستطلاعية الصغرى، وإذا تبدلت الاحتمالات السابقة ولم يتمكن التتار من مساعدة الصليبيين وتمكن السلطان المملوكي من الصمود غير المتوقع عندئذ يكون باستطاعة البابا القيام بالعبور الأعظم للجيش الصليبي أو العدول عن تلك الفكرة^(٨٩).

وعقب ذلك يطلب هثون من البابا أن يسمح له بعدة أشياء أولاً: بالكتابة إلى ملك جورجيا "الكرج"^(٩٠) الذي يدين بالمسيحية ويذكر أن شعب جورجيا يبدي على الدوام حماساً بالغاً للحج إلى الأراضي المقدسة، وأن الجورجيين يتسمون بالقوة والشجاعة في الحروب ويجاورون مملكة أرمينية الصغرى^(٩١).

ثانياً: أن يتكرم قداسته بكتابة رسائل باسمه إلى ملك النوبيين، وأن باستطاعة ملك أرمينية ترجمة تلك الرسائل وإرسالها إلى من كتبت إليه في عقر داره دون أي عائق. وقد ذكر هثون أن ملك النوبيين سبق أن اعتنق المسيحية على يد القديس توماس

St. Thomas وأنه سيوافق بترحيب بالغ على المشاركة جنباً إلى جنب مع الجيش الصليبي في حربه ضد سلطان مصر^(٩٢).

ثم يتطرق هـون بعد ذلك إلى كيفية اجتياز الجيش الصليبي لطريقه ويذكر أن ذلك سوف يتم على النحو التالي :

الطريق الأول: اجتياز طريق أفريقية، ويعتذر عن وصف هذا الطريق لعدم علمه به ويقول أنه يترك الحديث عنه للذين يعرفون أحوال تلك المناطق جيداً، ونستخلص من قوله هذا صدقه البالغ وعدم الإقتاء فيما لا يعرفه.

الطريق الثاني: اجتياز طريق القسطنطينية وهو الطريق الذي سلكه جودفري دوبيون من قبل^(٩٣). ومن الممكن بالنسبة للجيش الصليبي - وفق تقديرات هـون - اجتيازه في أمان تام، إلا أن الصعوبة تكمن في مواصلة السير من القسطنطينية إلى مملكة أرمينية الصغرى، لأن الجيوش الصليبية ستواجه مشكلة اجتياز أراضٍ يسيطر عليها الأتراك، وبالتالي سيكون الطريق محفوفاً بالمخاطر، ومع ذلك فقد وجد هـون حلاً لهذه المشكلة فالتتار بإمكانهم تزويد الصليبيين بالمؤن اللازمة وبأسعار معقولة، وبالتالي سيصبحون خير منقذ لهم من تلك الضائقة^(٩٤).

أما الطريق الثالث فهو الطريق البحري ذلك الطريق الذي يعرفه الجميع - كما يقول هـون - الذي اشترط في حال اتخاذه أن تكون السفن والمراكب تحت تصرف الجيوش الصليبية المشاركة في الحملة وذلك في جميع الموانئ البحرية واشترط كذلك ضرورة تحديد يوم إبحار الأسطول الصليبي بعد ضمان استعداد جميع المشاركين في الحملة الصليبية للالتزام به بدقة واقترح على الصليبيين أن يتوجهوا أولاً نحو قبرص حيث يمكن لهم الاسترخاء قليلاً هم وخيولهم حتى شهر سبتمبر بسبب مشقة السفر. وإذا علم هؤلاء أن الحملة الاستكشافية التي سبقتهم قد تمكنت من بسط سيادتها على إحدى المدن الحصينة في بلاد الشام، وفي تلك الحالة يمكن للجيش الصليبي الأكبر أن ينتقل

إلى تلك المدينة ويستقر بها ويتخذها قاعدة لعملياته العسكرية. وإذا حدث عكس ما توقع وخطط له، يجب على الصليبيين التوجه إلى مملكة أرمينية الصغرى وذلك بعد انقضاء عيد القديس ميشيل St. Michel - أي بعد ٢٩ سبتمبر - لكي يتجنبوا فصل الشتاء ببرده القارس. وبوصولهم إلى أرمينية الصغرى سيجدون فيها كل ما يلزمهم من حاجياتهم ومنها يمكنهم الانطلاق في اتجاه طرسوس Tarse^(٩٥) حيث سينعمون بموارد هائلة بسبب وفرة المياه والكأ في تلك المدينة^(٩٦).

وبقدوم الربيع، يكون على الجيش الصليبي أن يتقدم في اتجاه أنطاكية التي تبعد يوماً واحداً عن مملكة أرمينية الصغرى، وينبغي على الأسطول الصليبي أن يحتل ميناء السويدية آنذاك^(٩٧). والقريب من أنطاكية، وفي الوقت نفسه تقوم القوات البرية الصليبية بالاقتراب من أسوار أنطاكية لفرض الحصار عليها.

وبعد إحكام الحصار حول أنطاكية سيكون من السهل إسقاطها والاستيلاء عليها، وبعد دخولها يتمكن الصليبيون من الإقامة فيها لعدة أيام، وفي غضون ذلك عليهم التسلل إلى أراضي المسلمين حتى يكونوا على بينة فيما يتعلق بنواياهم واستعداداتهم وقواتهم. وقد سلط هثون الضوء على أهمية الموارد لترجيح كفة الصليبيين وإلحاق الهزيمة بالمسلمين، إذ قال أنهم من رعايا المسلمين وأن أعدادهم كبيرة في جبل لبنان ويُعدون من الرماة المهرة، وقد أكد دون شك أنهم سوف يسارعون لتقديم العون والمساعدة للجيش الصليبي^(٩٨).

وانطلاقاً من أنطاكية يتمكن الصليبيون من الزحف إلى اللاذقية Laodicee القريبة منها^(٩٩). وقد نبه هثون إلى أنه يوجد بالقرب من حصن المرقب Margat^(١٠٠) على شاطئ البحر ممر بالغ الصعوبة، إذ يشكل اجتيازه صعوبة بالغة على جيش كبير كجيش الصليبيين؛ وإذا كان المسلمون يبسطون سيطرتهم على ذلك الممر واستقروا فيه واستعدوا لقتال الجيش الصليبي، في هذه الحالة اقترح هثون عليهم ضرورة العودة ثانية إلى أنطاكية؛ واجتياز الطريق البري في اتجاه قيسارية cesaree^(١٠١)؛ وسيجدون

عند اجتيازهم هذا الطريق مياها غزيرة وأراضي خصبة عامرة بالزاد والفواكه وجميع الخيرات التي ستكون خير غنيمة للصليبيين. وهكذا، سيكون من السهل عليهم الوصول حتى حماه تلك المدينة الشهيرة بثرواتها التي من السهل الاستيلاء عليها من وجهة نظر هثون. وإذا استعد السلطان للدفاع عنها، فسوف لا يواجه الجيش الصليبي صعوبة تذكر لقتال الجيش الإسلامي في الوديان المجاورة للمدينة. وفي حالة تمكن الصليبيين من إحراز النصر، ستخضع لهم المدينة بكاملها، وحينئذ سيسهل عليهم اتخاذ طريق مباشر للوصول إلى العاصمة الكبرى دمشق التي ستكون على استعداد تام للاستسلام للجيش الصليبي مقابل شروط حسنة. وسيحدث ذلك عندما يعلم أهالي دمشق أن السلطان المملوكي مني بهزيمة، وبالتالي ستضعف روحهم المعنوية، وسيتخلون عن الصمود في وجه القوات الصليبية، وسيستسلمون كما استسلموا من قبل لهولاكو Holoan وغازان Cassan.

وبنأقب بصره وبصيرته، أدرك هثون أن سقوط دمشق سيجعل من السهل على الجيش الصليبي احتلال بلاد الشام بكاملها. وإذا أصر السلطان المملوكي على الصمود والاعتماد على قواته لخوض غمار معركة شرسة ضد الصليبيين، يمكنهم آنذاك تغيير خط سيرهم، والتوجه إلى طرابلس التي سيصلون إليها بعد ثلاثة أو أربعة أيام، وسوف يساعدهم في ذلك الأسطول الصليبي الذي سيتكفل بحراستهم ومراقبة تحركاتهم. وعلى الصليبيين الشروع في إصلاح أسوار المدينة ودفاعاتها، وسيساعدهم المسيحيون في إتمام تلك المهمة - أي الموارد - القاطنون في جبل لبنان. وبعد أن تتخلص مدينة طرابلس من أطلالها وما لحق بها من دمار سيكون من السهل على الصليبيين أن يصبحوا أسيادا على مملكة بيت المقدس^(١٠٢).

وقد ركز هثون حديثه حول ضرورة تحالف الصليبيين مع التتار، وقال إن التتار سيزودون الصليبيين بكتيبة قوامها عشرة آلاف مقاتل، وبذلك يصبحون خير عون لهم،

أما البدو والتركمان^(١٠٣) فسوف يخشون الاقتراب من الجيش الصليبي خوفاً من التتار، وكذلك سيقوم التتار بتزويد الجيش الصليبي بالمؤن آملين في الانتصار المؤكد على جيش المماليك وفي تلك الحالة سيجني التتار ثمار ذلك النصر. وبالإضافة إلى ما تقدم فإن التتار سوف يخبرون الجيش الصليبي بأحوال المسلمين أول بأول لأنهم يتميزون بمهارة في الركض، وعلى علم تام بكل الطرق، ويذهبون ويجيئون بحمية وحماس بالغ. وقد أصروا على أن يواجهوا المسلمين في معركة وسط الحقول، أو القيام بعملية حصار المدن أو القلاع الإسلامية، لكن إذا حاول اولجايتو أو أي قائد آخر من قادتهم إخضاع مصر للسيادة التتارية ينبغي على الصليبيين أن يوافقوه على ذلك دون مزاحمة، فإن هذا القائد التتاري بدلا من أن يتشاور مع الصليبيين لاستطلاع رأيهم يسعى على الدوام لإخضاعهم لإرادته وفرض رأيه وكلمته عليهم. ولا ينبغي على الصليبيين أن ينسوا أن الجيش التتاري جيش قائم على الفرسان، وينطلق بسرعة وخفة وحيوية بينما يضم الجيش الصليبي المشاة والفرسان وبالتالي على الفرسان انتظار المشاة ليسيروا معا جنبا إلى جنب ومن ثم يستحيل على الجيش الصليبي اللحاق بفرسان التتار أو السير معهم^(١٠٤).

وقد لاحظ هثون أن التتار إذ كانوا ضعفاء يجنحون إلى التواضع والوداعة. لكن إذا اختلف الأمر وأصبحوا أقوياء، حينئذ تغمرهم الغطرسة والصلف والتسلط، وبالتالي يمكن أن تحدث مجابهة مع الصليبيين وتكون النتيجة لصالح التتار، وسينتج عن ذلك نزاع متواصل بين الطرفين بين حين وآخر. ولتحاشي هذا المحذور وتلك المجابهة، ينبغي على التتار اتخاذ طريق دمشق، وبسط سيادتهم على عاصمة بلاد الشام دون مزاحمة صليبية؛ هذا بينما يتخذ الصليبيون الطريق إلى بيت المقدس. وبذلك يمكن الاستفادة من التتار وتجنب مخاطر التحالف معهم^(١٠٥).

عقب ذلك، توجه هثون بحديثه إلى البابا كليمنت الخامس قائلاً: "ليسمح لي قداسنكم أن أذكركم هنا عن مدى أهمية عدم معرفة الأعداء بأخبار تحركات الجيش الصليبي

واستعداداته الحربية وعملياته القتالية. ولقد سبق؟ أن ندم الصليبيون والتتار حين علم المسلمون بنواياهم العدوانية وأسرارهم المريبة؛ فلم يقلل من أهمية الانتصارات الساحقة للتتار إلا قلة اهتمهم بكتمان مشاريع توسعاتهم؛ هذا بينما استفاد المسلمون خير استفادة بسبب كتمان أسرار عملياتهم العسكرية" (١٠٦).

ها هو مشروع الحملة الصليبية الذي عُرض على بابا روما وملك فرنسا في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، لكي يجعلهما يصممان على القيام بتجربة استعادة الأراضي المقدسة الخاضعة للسيادة الإسلامية. فجميع الظروف التي بإمكانها تسهيل تحقيق هذا الهدف أدرجها هثون وسردها في مشروعه هذا.

ومع ذلك يندعش المرء حين يلاحظ صمت هثون عن ذكر أهمية اختيار قائد ماهر ومحرك، خبير بفنون قتال المسلمين، وذكر الصفات الواجب توافرها فيه لتنفيذ مخططاته، وإيداء مقترحاته وتوجيهاته للقادة الخاضعين لسيادته.

والملاحظ أيضا ثقة هثون المفرطة في نوايا التتار ومساعداتهم، إذ يؤخذ عليه المبالغة في ذلك. وقد نسي تماما أن أحوال إيلخانية تتار فارس في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي/ أواخر القرن السابع الهجري لم تكن تسمح لها بواصلة سياسة الغزو والإغارة على العالم الإسلامي آنذاك، وذلك لأسباب منها الصراع الداخلي على العرش لأن "كيخايتو" خان التتار الذي خلف أخاه "أرغون" عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ أنفق الأموال الكثيرة على ملذاته مما أدى إلى ضعف دولته تتار فارس، وقد خرج عليه "بيدو" ودار قتال عنيف بينهما انتهى بمقتل "كيخايتو" عام ١٢٩٤م/٦٩٣هـ واستقل "بيدو" بالحكم ولكن لم تهدأ الأمور "لبيدو" بعد ذلك إذ خرج عليه نائب خراسان "غازان" ابن أرغون وتمكن من قتل "بيدو" وأخذ العرش منه بعد حرب شرسة قرب همذان (١٠٧).

ومن الإنصاف أن نذكر أن مشاكل التتار لم تكن وليدة هذا التاريخ فقط بل تمتد إلى ما

قبل ذلك بنحو ثلاثة عقود من الزمن حيث إن وفاة هولاكو عام ١٢٦٥م قد أدت إلى إضعاف مركزهم، إلى جانب أن زوجته قطز "خاتون" قد توفيت بعد ذلك بفترة قصيرة وهي التي كان لها دور مهم في انحياز التتار وتحالفهم مع المسيحيين، الأرمن والفرنج. هذا بالإضافة إلى تهديدات تتار القفجاق لأملاك تتار فارس، ولاشك أن كل هذه التغيرات قد أدت إلى إضعاف محاولات التحالف التتاري مع الصليبيين ضد المسلمين^(١٠٨).

بالإضافة إلى ذلك لا يمكن إنكار أثر تحالف تتار القفجاق في جنوب روسية مع المماليك في مصر والشام رداً على تحالف تتار فارس مع الصليبيين، وقد نجح هذا التحالف المملوكي التتاري في إجبار بيزنطة على تغيير سياستها تجاه التحالف الصليبي التتاري والارتقاء في أحضان التحالف المعادي فوطدت بيزنطة علاقاتها مع القفجاق والمماليك وتم تبادل السفارات بينهما، وقد تم ذلك في إطار رغبة المماليك و القفجاق في تأمين طرق الاتصال بينهما عبر المضائق البيزنطية^(١٠٩).

كذلك نستخلص من آراء هثون أن لديه بعض الخبرة والتجربة للوسائل التي يمكن استخدامها لتسهيل إثارة انتفاضة جديدة يحمل فيها الصليبيون السلاح وبصحبتهم التتار لاستعادة الأراضي المقدسة من السيادة الإسلامية.

ولا ينبغي أن ننسى أن هثون كان قد سبق أن حمل السلاح للدفاع عن الممرات الجبلية في مملكة أرمينية الصغرى، كما اشترك في حملة تحت قيادة التتار في أثناء اجتياحهم العالم الإسلامي كما سبق أن ذكرنا، وهكذا كان بإمكانه أن يوضح للبابا ولملوك أوروبا الأخطاء التي عجلت بفقدان الأراضي المقدسة وعن أفضل الطرق والوسائل لاستعادتها.

وعلى أية حال فهذا المشروع العجيب يبدو أنه أثار ضجة كبيرة في أوروبا ولاسيما فرنسا في وقت فترت فيه الحماسة للحروب الصليبية فكان بمثابة تدليك لقلب واقع في

غيبوبة تامة، فضلاً عن ذلك فإن مشروعه وما ورد فيه من أفكار أثر تأثيراً بالغاً على المشاريع الصليبية التي كتبت بعده فاقتبس أصحابها بعض أفكاره.

والجدير بالملاحظة أن كلمنت الخامس، اجتمع بالأمير الأرمني هثون في العام نفسه الذي حصل فيه مبعوثان فرنسيان من الرحالة ألبندقي ماركو بولو Marco Polo على نسخة من روايته الأصلية عن رحلاته في آسيا الوسطى، لهذا فإن الاطلاع على مصنف هثون كان مفيداً لدراسة كتاب الرحالة ألبندقي العظيم ماركو بولو وترجع فائدته إلى أنه يمكن أن يرفع الظلام عن بعض الأحداث ويفسرهما لنا .

وقبل طي صفحات هذا البحث وجدنا أنه من المفيد حقاً استخلاص ما به من أفكار سبق تداولها ومعرفتها، إضافة إلى تسليط الضوء على أفكاره ومخططاته الجديدة. ففيما يتعلق بوجهة نظر هثون الهادفة إلى ضمان الحملة الصليبية المرتقبة، نلاحظ أن فكرته المتعلقة بالتحالف مع التتار ليست جديدة إذ برز مشروع التحالف معهم منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وعلى وجه الدقة منذ عهد لويس التاسع وقبيل حملته على مصر عام ١٢٤٨م/٦٤٦هـ، وكذلك برز ثانية في عهد البابا نيقولا الرابع Nicolas IV (١٢٨٨ - ١٢٩٢م)^(١١٠). وقد سار شوطاً بعيداً حتى بلغ مداه في أوائل القرن الرابع الميلادي. وقد أورد فكرة التحالف تلك ريمون لول Raymond Lull فكان سباقاً في ذلك^(١١١).

كذلك فإن اقتراح هثون على الصليبيين بضرورة التزامهم الطريق البحري ليس جديداً أيضاً، فمنذ أواخر القرن الثاني عشر الميلادي اتخذت الغالبية العظمى من الحملات الصليبية الطريق البحري إلا أن فشل تلك الحملات جعل الصليبيين يتشككون في جدوى الطريق البحري حتى بلغ الأمر مداه في القرن الرابع عشر الميلادي حين فكر الصليبيون في اتخاذ الطريق البري بدلاً من الطريق البحري. ومن الملاحظ أن الدعاة الذين فضلوا الطريق البحري مثل فيدنس دو بادوا Fidence de Padoue^(١١٢) وهثون

ومارينو سانودو Marino Sanudo من المحتمل أنهم لم يصروا على اتخاذ هذا الطريق دون غيره (١١٣).

أما الجديد في مشروع هثون الذي لم يرد في مشاريع السابقين عليه فهو فكرة العبور العام المتقدم Parvum Passagium أي الحملة الاستطلاعية السابقة للحملة والتي سيتلوها إبحار الجيش الصليبي الأكبر إلى أرمينية الصغرى ، فمن المعتقد أن تلك الفكرة أثرت تأثيراً مباشراً على البابا كلمنت الخامس واقتنع بها ، وزيادة في الاقتناع استطلع رأي رئيس فرسان الداوية جاك دو مولاي Jacques de Molay الذي أعلن أن تلك النصيحة منافية للمنطق وبالغة الخطورة على الجيش الصليبي ، إلا أن البابا قبل بنصيحة هثون وأخذ برأيه معتقداً أن تلك الفكرة ستخدم بحיוية عملية استعادة الأراضي المقدسة ، أو أنه كان يبحث عن حجة لإرجاء وتأجيل الحملة الصليبية العامة والكبرى لذلك وافق على اقتراح هثون . ومن هذا المنطلق ركز البابا استعداداته للحملة الصليبية الاستطلاعية خلال الأعوام ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ م ، بل امتدت الاستعدادات والتجهيزات حتى انعقاد مجمع فيينا Vienne عام ١٣١١ م (١١٤) . وقد يؤكد ذلك تلك الرسائل العديدة التي كتبها آنذاك والمتعلقة باستعادة الأراضي المقدسة . وهكذا كلف البابا استبارية عكا بتجهيز حملة استطلاعية Passagium Peculaire تتكون من ألف فارس وأربعة آلاف من المشاة كما حث المسيحيين الغربيين على تقديم العون اللازم لهم .

والجدير بالملاحظة أن فكرة الحملة الاستطلاعية قد ظهرت ثانية فيما بعد ولكن بشكل مختلف قليلاً وذلك بواسطة مارينو سانودو ١٢٧٤-١٣٤٣ م Marino Sanudo في مشروعه " أسرار المؤمنين بالصليب Secreta Fidelium Crusis " . وقد أخذ بتلك الفكرة أيضاً الملك هنري الثاني Henri II (١٢٨٥-١٣٢٤ م) ملك قبرص في مذكراته التي أعدها كمشروع لاستعادة الأراضي المقدسة والتي نشرها ماس لاتري de Mas Latrie في كتابه " تاريخ قبرص " (١١٥).

وقد ركز هثون في مشروعه على مزايا إبحار الصليبيين إلى أرمينية وأخذ في إبراز مزايا ذلك، إلا أن نصيحته تلك عارضها معاصروه بشدة، وبرزت تلك المعارضة في مشاريعهم، بل ركزوا على مخاطر الإقدام على خطوة كهذه. ووصل بهم الأمر إلى حد القول باستحالة تنفيذ ذلك. ولقد عارض تلك الفكرة بشدة أناس على دراية كاملة بأحوال الشرق آنذاك أمثال جاك مولاي، وهنري الثاني ملك قبرص ومارينو سانودو، ومع ذلك فقد اقترح مارينو سانودو على الصليبيين أن يرسلوا جيشاً صغيراً لكي يحول دون فتح الممالك لمملكة أرمينية الصغرى.

وختم القول قد ظهرت في الغرب الأوروبي عديد من المشاريع الداعية لاستعادة الأراضي المقدسة سبقت زمنيا المشروع الذي أعده الراهب الأرمني هثون. وقد ظهرت تلك المشاريع بعد سقوط مملكة عكا الصليبية في يد الأشرف خليل بن قلاوون في ١٨ مايو لعام ١٢٩١م، ومنها مشاريع كل من بيير دبوا Pierre Dubios^(١١٦)، وريمون لول Raimond Lull^(١١٧)، وجلفانو دو ليفانتو Gaivano de Levanto^(١١٨)، ومع ذلك فإن مشروع هثون كان الأكثر واقعية والأكثر قابلية للتنفيذ من المشاريع السابقة الذكر، ونظراً لأهميته البالغة اعتمدت عليه وأخذت منه العديد من مشاريع النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

الحواشي

(١) يُعرف هذا الأمير الأرمني باسم هثون Hethoun في اللغة الأرمنية، أما المصادر الغربية فقد حرفت هذا الاسم فأصبح هايتون Hayton أو Haiton أو أيتون Aytton أو Aiton و أيكون Aycone .

,Doc. .Hayton, "La Flor des Estoires de La Terre d'Orient", in, R.H.C Arm., II (Paris , 1869-1906) p. XXIV .

(٢) زدونا المؤرخ الفرنسي بولان باري Paulin Paris بترجمة وافية عن هثون، انظر:

Paris , P., Hayton, Prince d'Armenie , Historien , Extrait de l'histoire litteraire de La France, (Paris, 1885) XXV , pp. 479-507 .

أما كوهلر Köhler فقد زدونا بمقدمة بالغة الأهمية عن هثون ومصنفه، انظر:

R.H.C., DOC. Arm., II, (Paris, 1906) pp. XXIII-LV; De Laville le roulx, J., La France en Orient au XIV Siecle , 2 vols. (Paris , 1886), I, pp. 64-5; Vermeylen, A., " Le Liver de la fleur des histoires de la Terre d'Orient e la probleme des influences Orientales au Moyen Age" , in , A.C.H. (Paris, 1921), (presses Universitaires de France , 1923) , I , pp. 331 sqq ; Cordier, H., Hisoire generale de la Chine et de ses relation avec les pays etrangers , 2 toms (Pais , 1920) II , p. 410 .

(٣) هناك نسختان للمصدر وكانت الأولى باللغة الفرنسية القديمة ونشرت داخل

مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية - المؤرخون الأرمن، الجزء الثاني، R.H.C. , Doc. Arm. , II , pp. 113-253.

أما الثانية فكانت باللغة اللاتينية ونشرت داخل المجموعة نفسها، R.H.C. , Doc. Arm. , II, pp. 255-363 .

وعن نسخ المخطوطة الفرنسية للمصدر انظر: R.H.C. , Doc. Arm. , II, pp. LXXXV-XCIV .

وعن نسخ المخطوطة اللاتينية للمصدر انظر:

R.H.C. , Doc. Arm., II, pp. CXVI-CXIX .

وللدراسة المقارنة بينهما انظر :

R.H.C. , Doc. Arm., II, pp. LVII-LXVII .

Paris , *Histoire Litteraire*, XXV , p. 1 . (٤)

R.H.C. , Doc. Arm. , II, pp. XXIII . (٥)

R.H.C., Doc. Arm., II, pp. XXVIII; III, ch. 45, p. 213; Grousset, R (٦)

L'Empire du Levant, Histoire de la question d'orient (Paris, 1946)p. 412.

Paris , *Histoire Litteraire* , XXV , p. 480 . (٧)

R.H.C. , Doc. Arm. , II , pp. XXVIII ; Omont , H. , *Notices et* (٨)

exrais des manuscris , XXXVIII (Paris , 1911) p. 238 ; Paris , *Histoire Litteraire* , XXV , p.2 .

R.H.C. , Doc. Arm. , II , pp. XXVIII .(٩)

R.H.C. , Doc. Arm. , I , pp. CXVIII ; II, XXVIII-XXIX . (١٠)

Grousset, *Levant*, pp. 412-413 . (١١)

R.H.C. , Doc. Arm. , I , p. XXIX . (١٢)

R.H.C. , Doc. Arm. , I , pp. LX, CXIX , 429, 651-692 ; (١٣)

(١٤) صار هثوم بن قسطنطين البابيريوني أول ملك من أسرة بابيرونين، فالملك ليون

الثاني البابيريوني مؤسس مملكة أرمينية الصغرى لم ينجب ولداً ذكرأ ليخلفه

ولكنه أنجب بنتا وهي ايزابيل فتزوجها هثوم ابن الأمير قسطنطين - الوصي

على العرش - رغماً عنها، وبذلك انتقل تاج أسرة روبينيان إلى أسرة بابيرونين

وتوج هثوم الأول ملكاً في ١٤ يونيو ١٢٢٦م/ ٢٧ جمادى الآخرة لعام ٦٢٤هـ .

Sempad, "Le Connétable, Chronique du Royaume de La Petite Arménie", in, R.H.C., Doc. Arm., I (Paris, 1869) pp. 647-9; Rothelin,"

Continuation de Guillaume de Tyr dite du manuscrit de Rothelin (1229-1261)", in , **R.H.C. H.Occ.** , II (Paris , 1859) pp. 489-639.

(١٥) "جي دبلن" هو ابن بدوان دبلن Baudouin d'Ibelin رئيس بلاط قبرص.
R.H.C. Lois, II , p. 449 .

R.H.C. , Doc. Arm. , II, p. XXVIII . (١٦)

(١٧) قامت مملكة أرمينية الصغرى في المنطقة التي عرفت قديماً باسم قليقيا La Cilicie، وتقع تلك المملكة في الجنوب الشرقي من آسية الصغرى، وتكاد تكون حدودها طبيعية لأن جبال الأمانوس Amanous تحدها من الشرق، وفي الشمال والشرق تقع جبال طوروس، أما في الجنوب فيحدها البحر المتوسط حيث تمتد سواحلها من مدينة طرسوس إلى جنوب الإسكندرونة. وقد بلغت مساحتها في بدايات القرن الثالث عشر الميلادي نحو أربعين ألف كيلومتر مربع، بطول ٤٠٠ كم من الشرق إلى الغرب، وعرض ١٠٠ كم من الشمال إلى الجنوب. وقد أطلقت المصادر الإسلامية على مملكة أرمينية الصغرى اسم "إقليم الدروب" وقد لقب ابن الأثير أمير أرمينية الصغرى باسم "صاحب أرض الدروب".

R.H.C. , Doc. Arm. , I , pp. II-III , XVIII-XIX ; Tournebize , F. , Histoire politique et religieuse de l'Arménie (Paris, 1910) , p. 6 ; Iorga , N. , Breve Histoire de la Petite Arménie (Paris , 1930) , pp. 9-10 .

ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، ١٢ جزء (القاهرة ١٢٩٠هـ)، ج ١، ص ١٤٥: ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة ١٩٦٣م)، ص ٣٠٧؛ ياقوت الرومي الحموي: معجم البلدان، ١٠ أجزاء (بيروت د ت)، ج ١، ص ١٦٠ .

أطلق المسلمون على الملك الأرمني هثوم اسم "مملك سيس" لأن الأرمن استولوا على أرمينية الصغرى قهراً من المسلمين أصحاب السيادة عليها وعليهم، ويقول القلقشندي في ذلك ".... وإنما يقال له مملك سيس لما تقدم من أنها كانت أولاً بيد المسلمين، ثم

وثب عليها رئيس الأرمن المتقدم ذكره فتملكها من أيدي المسلمين^{١٠٠} القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء (القاهرة ١٩١٣-١٩٢٠م/١٣٣١-١٣٣٨هـ)، ج، ص ٣٢.

أما شهاب الدين بن العمري فقد ذكر عن الأرمن قائلاً "وكانت طاعتهم آخرًا لبقية الملوك السلاجقة الروم، وعليهم جزية مقررة وطاعة معروفة، والعمال والشحاني على البلاد من جهة الملك السلجوقي، حتى ضعفت تلك الدولة (السلجوقية) وسكنت شق تلك الصولة... فطمع هذا اللعين، صاحب أرمينية الصغرى... واستولى على هذه البلاد وتملكه، وتحيف مواريث بني سلجوق واستهلكها".

العمري: التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢هـ)، ص ٥٥-٥٦.

ولقد تعددت الألقاب التي أطلقها المسلمون على ملك الأرمن منها ابن لاون، وليفون، وصاحب سيس، وتكفور. ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق الدكتور عبد العزيز الخويطر (الرياض ١٩٧٦م)، ص ٢٦٩-٣٢٩؛ العمري: التعريف بالمصطلح، ص ٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٨، ص ٣١.

(١٨) يتوارد ذكر التتار Tartarius أو المغول Mongols كثيراً في المراجع التاريخية بمعنى واحد، إلا أن المصادر الإسلامية من أمثال مؤلفات ابن الأثير وأبي الفدا والعيني والمقريزي فضلوا إطلاق كلمة التتار على غزواتهم التي اجتاحت العالم في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ويقال أن كلمة التتار مشتقة من اسم زعيم ظهر بين تلك القبائل في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وتشير إليهم المصادر اللاتينية المعاصرة وكذلك مصنف هتون "زهرة تواريخ الشرق" باسم التتار Tartarius. على سبيل المثال انظر: Hayton, Flor des Estoires, pp. 227, 237-239.

(١٩) ترجع معرفة هثوم بالتتار إلى أنه كان من أكبر حلفاء المغول وكانت البعثة التي أرسلها بقيادة شقيقه المؤرخ سمباد إلى خان التتار (كيوك، أو بوك) عام ١٢٤٨م من أجل التحالف معهم من أكثر المحاولات نجاحاً وقد 'تفرقت هذه البعثة الفترة مابين ١٢٤٧-١٢٥٠م، وقد فاق هذا المبعوث غيره في إدراك أهمية التحالف مع المغول بالنسبة للمسيحيين، وقد استقبله الخان بالترحاب ومنحه براءة تكفل الحماية والمحبة للملك هثوم الأول .

ويبدو أن نجاح هذه البعثة كان دافعاً وراء زيارة الملك هثوم بنفسه إلى بلاط الخان عام ١٢٥٤م وقد استقبله الخان بحفاوة بالغة ووعد بهدم تحصيل الضرائب من الكنائس والأديرة الأرمنية الواقعة داخل أملاك المغول. وقد ظل الملك هثوم الأول على ولائه للمغول حيث تردد كثيراً على بلاط الخان وقدم لهم المساعدة كلما طلب منه ذلك وشاركت جنود الأرمن جنباً إلى جنب مع قوات التتار في آسية الصغرى وبلاد الشام، وقد تطورت العلاقة حتى أن الملك الأرمني حضر مجلس الحكماء الذي انعقد في بلاط الخان هولاكو بالقرب من تبريز في يوليو عام ١٢٦٤م.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٩٥٨م)، ٢٩٨ - ٤٩٩؛ محمد مرسى الشيخ: أوروبا والتتار (الإسكندرية ٢٠٠٣م)، ص ٣٨٤-٣٩٢؛ السيد الباز العريني: المغول (بيروت ١٩٨٦م)، ص ١٩١؛ عبد السلام فهمي: تاريخ الدولة المغولية في إيران (القاهرة ١٩٨١)، ١٠٨؛ حسين محمد عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م/٥٦٧-٦٦٦هـ)، رسالة دكتوراه منشورة، ط ١ (الإسكندرية ١٩٨٩م)، ٤٣٠ .

(٢٠) R.H.C., Doc. Arm., II, Ch. 45, pp. 213-4.

(٢١) R.H.C., Doc. Arm., II, Ch. 10, pp. 129- 30, 268-9.

(٢٢) قلعة جوريجوس Gorigos أو كوريكوس Korikos ويسمىها أبو الفدا "قلعة الكرك" بكافين الأولى مفتوحة وبينهما راء مهملة ساكنة وهي قلعة بالقرب من البحر في أطراف بلد سيس Sis جهة الغرب والشمال وهي تتاخم بلاد ابن قرمان. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء (الاستانة ١٢٨٦هـ)، ج ٤، ص ٩٩. كانت تسمى جوريجوس قديما باسم "كوريكوس القليقية" Corycus، وتقع في شمال شرق سيلوقية Seleucie .

R.H.C., Doc. Arm., I, p. LXXXVI ; Mas Latrie, L., Histoire de l'île de Chypre, 3 toms (Paris, 1852-1861), II, p. 75; Saint-Martin, J., Memoires historiques et geographiques sur l'Armenie (Paris, 1818), I, pp. 203-4.

وقد وردت في مصنف هثون على شكل قورشي Curchi تارة وكورك Corc تارة أخرى.

Paris, Histoire Litteraire, p.1; R.H.C., Doc. Arm., II, Ch. 43-44, p. 113, 252 .

Atiya A. S., The Crusade in The Later Middle Ages (London , (٢٣) 1938), p. 62 ; Atiya, A. S. , The Crusade of Nicopolis (London , 1934) , pp. 20-3 ; De Laville le roulx , J. , La France en Orient Au XIV Siecle , 2 toms (Paris, 1886) , I , pp. 64-70 ; Paris , Histoire Litteraire , p. 1.

(٢٤) اعتلى هثوم الثاني Hehoum II عرش مملكة أرمينية الصغرى بعد أبيه ليون الثالث Leon III عام ١٢٨٩م ٦٨٨هـ، إلا أنه تنازل عنه عام ١٢٩٣م ٦٩٢هـ لأخيه ثوروس Thoros، ودخل أحد الأديرة الفرنسكان مع ذلك ظل ثوروس وكبار البارونات يذهبون إليه في الدير لاستشارته في الأمور الهامة، وبفضل إلحاحهم عليه نجحوا في إجباره على العودة ثانية لعرش المملكة عام ١٢٩٥م/٦٩هـ ، وفي عام ١٢٩٧م ٦٩٦هـ توجه هثوم الثاني إلى القسطنطينية بصحبته ثوروس وترك أخاه الآخر سمباد Sempad لإدارة شؤون

المملكة فما كان من سمباد إلا أن اغتصب العرش لنفسه، بعد أن سبب الكثير من المتاعب الداخلية لشقيقه هثوم الثاني، لكن البارونات الأرمن اضطروا هثوم الثاني بعد تحسن حالته إلى اعتلاء عرش المملكة للمرة الثالثة عام ١٢٩٩م/٦٩٨هـ.

"Le Roi Héthoum II, Poème Historique", in, **R.H.C., Doc. Arm., I** (Paris, 1869-1906) pp. 541-5; Sempad, **Chronique du Royaume**, pp. 655-7; Mardiros de Crimée, "list Rimee des Souverains de La Petite Armenie", in, **R.H.C., Doc. Arm., I** (Paris, 1869) p.685; Tournebize, **Histoire Politique**, pp. 220-8.

من مرسى الشيخ: التتار وأوروبا، ص ٣٩٦.

R.H.C., Doc. Arm., I, p. 469. (٢٥)

كان هثوم الثاني قد تعرض للكثير من المتاعب في بلاده على يد شقيقه الذي تمكن من اغتصاب السلطة في أرمينية الصغرى لنفسه واستمر الأمر هكذا لعدة سنوات حتى عاد هثوم إلى عرشه عام ٢٩٩٠.

من مرسى الشيخ: التتار وأوروبا، ص ٣٩٦.

Morgan, D., **The Mongols in Syria** (1985), p. 185.

يسمى بطريرك الأرمن كاثوليکوس **Catholicos** وهو الرئيس الأعلى لطائفة الأرمن، ويطلق الأرمن عليه لقب الكاتاغيكوس، أما المصادر الإسلامية فتارة تسميه بترك الأرمن، وتارة أخرى تسميه بطرك الأرمن، وتارة ثالثة تسميه كيتاغيكوس أخذاً عن الأرمن. وتارة رابعة باسم الكاغيكوس، وأخرى كيناغيلوس، أو خليفة الأرمن.

المقريزي: السلوك، ج ١٣، ص ٧٧٨؛ ابن الفرات: تاريخ الدول، ج ٨، ص ١٣؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٩، ١٠١؛ ابن أبيك: زبدة الفكرة، ص ٢٦٨؛ مؤلف مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ١٥، ١٧؛ ابن شداد: النواذر السلطانية، ص

١٢٤-١٢٥؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ٣٢٠؛ أبو الفدا: المختصر، ج ٤، ص ٢٧؛ مؤلف مجهول: سلاطين المماليك، ص ١٧.

(٢٦) Paris, *Histoire Litteraire*, p. 2 ; Grousset, *Levant*, p. 400.

أطلق التتار لقب "خان" على رؤسائهم الذين يتولون جزءاً من إمبراطوريتهم، و"خاقان" على الرئيس الأعلى لإمبراطوريتهم ومعناه "الخان الأعظم" ومن باب الرغبة في الاختصار استعمل التتار لقب الخان بمعنى خاقان.

ابن أبي الفضايل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق بلوشيه (باريس ١٩١١-١٩٣٢م)، ص ٧٣؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٣٠٧. *Gesta des Chiprois*, in., R.H.C. Doc. Arm., II (Paris, 1869, 1906) p. 841.

من الجدير بالذكر أن "غازان خان" رغم إسلامه سار على سياسة أسلافه الوثنيين منذ عهد هولاكو والتي ترمي إلى التعاون مع الغرب الأوروبي ضد المماليك، وقد أرسل سفارات عديدة إلى البابوية لإعداد حملة صليبية ضد المسلمين وذلك بتحريض من الملك الأرمني هثوم الثاني والبطريرك النسطوري "ماريهابلاها".
"Vie de Mar Yahballaha", trans. Chabot, in, R. O. L. (Paris, 1894) pp. 239-65; Iorga, *Histoire*, pp. 91-2.

(٢٧) تقدم التتار مراراً داخل بلاد الشام لتأييد الأرمن ضد المسلمين، إلا أنهم تراجعوا في النهاية وتمكن المسلمون من إنزال هزائم منكرة بالتتار وحلفائهم من الأرمن عامي ١٣٠٢، ١٣٠٤م ودفع الأرمن ثمن التحالف معهم ضد المسلمين حيث تم تدمير بلادهم على يد المماليك.

العريني: المغول، ٣١٩-٣٢٠؛ من مرسى الشيخ: التتار وأوروبا، ٩٦. مدح هثون في مؤلفه زهرة تواريخ الشرق خان التتار "غازان" وأبرز دوره في إحراز النصر على جيش المماليك وقال إنه فعل العجائب.
Hayton, *Flor des Estoires*, p. 193.

وللتفاصيل عن تلك المعركة انظر:

ميرخوند: كتاب روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء، نشر جاب بنجم (لكهنو ١٣٣٢هـ/١٩١٥م)، ٥٥، ص ١٣٧-١٣٨؛ خواندامير: حبيب السير في أخبار أشراف البشر، نشر محمد سين كاشاني (بمباي ١٢٧٣هـ/١٨٥٨م)، ١/٣، ص ٨٨؛ المقرئزي: السلوك، ٣/١، ص ٨٨٨-٨٨٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ جزء (القاهرة ١٣٤٨-١٣٦١هـ/١٩٢٦-١٩٥٦م)، ج ٩، ص ١٢٢؛ ابن القوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (بغداد ١٣٥١هـ)، ص ٥٠١-٥٠٣؛ بيبيرس الدوادار: زبدة الفكرة وتاريخ الهجرة، ج ٩، تحقيق زبيدة محمد عطا (الرياض ١٩٨٦م)، ج ٩، ص ٢٠٥ ب، ٢٠٧ ب؛ مؤلف مجهول: سلاطين المماليك، ص ٥٨-٦٠؛ أبو الفدا: المختصر، ص ٤٤-٤٥؛ ابن حبيب: درة الأسلاك في دولة الأتراك (دار الكتب المصرية، رقم ٦١٧٠ تاريخ)، ورقة ٢٧٧ أ - ٢٨٨ ب.

Sempad, *Chronique du Royaume*, pp. 657-8; Hayton, *Flor des Estoires*, pp. 191-4; Grousset, *Levant*, p. 400; Cahun, L., *Introduction a L'Histoire de L'Asie* (Paris 1896) p. 435.

(²⁸) عن تفاصيل سقوط بلا الشام وخاصة دمشق انظر:

بيبيرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج ٩، ٢٠٨ أ، ٢٠٨ ب، ٢١٤ أ - ٢١٦ أ، ٢١٨ - ٢١٨ ب؛ مؤلف مجهول: سلاطين المماليك، ص ٦٧-٦٠، ٧١-٧٥؛ المقرئزي: السلوك، ج ٣/١، ص ٨٩٠؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١٢٧-١٢٥؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ٥ أجزاء (القاهرة ١٩٦٦م)، ج ٣، ص ٢٤٢؛ النويري الكندي: نهاية الأرب في فنون الأدب، ٥٥ مجلد، دار الكتب المصرية، رقم ٥٤٩ معارف

عامة، نشره السيد ألباز العريني وآخرون، ٢٩، ص ٣٢٦، ابن كثير: البداية_النهاية في التاريخ، ١٤ جزء (القاهرة ١٣٥١-١٣٥٨هـ)، ج ١٤، ص ٨٠.

Sempad, *Chronique du Royaume* , pp. 656-7; Hayton, *Flor des Estoires*, pp. 193-5; Paris , *Histoire Litteraire* , p. 2 ; Howorth , H. H. , *History_The Mongols*, 5 vols. (London , 1876-1888) , III , p. 446 ; D'Ohson , M. , *Histoire des Mongols* , 2 vols. (Amsterdam , 1834-1835) IV , p. 260 .

Hayton, *Flor des Estoires*, pp. 198-9; *Gesta des Chiprois* ,pp. 88- (٢٩) 9; Sanudo, Marino., "Liber Secreorum fidelium Crucis",ed. Bongars, J., in, G. D. F., II (Hanover , 1911) pp. 241-2; Paris, *Histoire Litteraire* , p. 2 .

Hayton , *Flor des Estoires*, p. 210 . (٣٠)

Hayton , *Flor des Estoires*, p. 206 . (٣١)

Hayton , *Flor des Estoires*, p. XXXV . (٣٢)

(٣٣) أفينون أو صخرة أبينون في المصادر الإسلامية مدينة على الضفة الشرقية

لنهر الرون Rhone في فرنسا على مسافة ٦٨٧ كم جنوب شرق باريس .
Bouillet , M. N. , *Dictionnaire Universel d'Histoire et de Geographie* (Paris , 1871) , p. 151 .

يعود السبب في اتجاه هُتون إلى أفينون إلى انتقال البابوية من روما إليها عام ١٣٠٥م عندما تم اختيار كلمنت الخامس لمنصب البابا ١٣٠٥-١٣١٤م وهو رجل من أصل فرنسي وبدلاً من الإقامة في روما أرسل في استدعاء الكرادلة من روما وتم تتويجه في ليون وفضل البقاء في أفينون وأصبح يتصدر قائمة تضم ست من البابوات اتخذوا من أفينون مقراً لهم هروباً من الفوضى والاضطرابات التي سادت شوارع روما في ذلك الوقت وخاصة عند اختيار البابا.

واستمرت البابوية على هذا الحال حتى عادت إلى روما بعد ذلك بنحو ٧٠ عاماً عندما غادر البابا جريجوري الحادي عشر Gregory XI ١٣٧٣-١٣٧٧م مدينة أفينون في زيارة إلى روما ومات بها عام ١٣٧٧م وعندئذ سارع الكرادلة الإيطاليون باختيار أحد الإيطاليين لمنصب البابوية وحمل لقب اوربان السادس Urban VI ١٣٧٧-١٣٨٩م. وقد رفض الكرادلة الفرنسيون ذلك الاختيار، وسارعوا باختيار آخر فرنسيا للمنصب البابوي وحمل لقب كلمنت السابع Clement VII ١٣٧٨-١٣٩٤م الذي أقام في أفينون وأعلنوا أن انتخاب اوربان السادس غير شرعي وعندئذ بدأت فترة الانشقاق داخل الكنيسة الغربية حيث وجود اثنين من البابوات أحدهما في روما والآخر في أفينون .

Gill , S. J., **The Council of Florence** (Campridge , 1959),pp. 16-7; Barraclough, G., **The Mideival Papy** , (London , 1966) . pp. 164-5 ; Vasiliev , A., **History of Byzantine Empire 324-1453**, II, (Madison , 1971) , p. 672 ; Painter, S., **A History of The Middle Ages** (New York, 1954) , p. 405 .

سعيد عاشور: **أوروبا في العصور الوسطى** (القاهرة ١٩٧٢م) ، ج١، ص ٤٩٩؛ نورمان ف. كانتور: **التاريخ الوسيط** ، قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة وتعليق د/ قاسم عبده قاسم، دار المعارف، ط٢ ١٩٨٤، ج٢، ط٢ (دار المعارف ١٩٨٦م) ج٢، ص ٦٤٤؛ السيد محمد المتولي: **الدولة البيزنطية في عالم القرن الخامس عشر الميلادي**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنصورة، ١٩٩٩م، ص ٩٠-٩١؛ شارل أومان: **الإمبراطورية البيزنطية**، ترجمة مصطفى طه بدر (القاهرة دت)، ص ٢٦٠ .

R.H.C., Doc. Arm. , II , p. XXIV, 113 , 252-3 . (٣٤)

R.H.C., Doc. Arm. , II , pp.252-3. (٣٥)

Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 121-35. (٣٦)

- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 128 . (٣٧)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 129 . (٣٨)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 134-5 . (٣٩)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 125-6 . (٤٠)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 123 . (٤١)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 126-7 . (٤٢)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 128 . (٤٣)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 136-7 . (٤٤)
- للتفاصيل حول نشاط المغول في بلاد الشام ودخول بغداد، ثم الصدام مع المسلمين ومعركة عين جالوت انظر :
- حسين عطية: **أنطاكية والمسلمون**، ٤١٤-٤٤٧؛ من مرسى الشيخ: **أوروبا والنتار**، ٣٨٦-٤٠٣؛ سعيد عاشور: **العصور الوسطى**، ج ١، ص ٦٠٤-٦٠٦.
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 147-219 . (٤٥)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 220-53 . (٤٦)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 220-34 . (٤٧)
- Hayton , **Terre d'Orient** , pp. 220-23 . (٤٨)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 222-24 . (٤٩)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 232-34 . (٥٠)
- Hayton , **Flor des Estoires**, pp. 225-31 . (٥١)
- (٥٢) أطلق مؤرخو الأرمن على المسلمين والشعوب التي اعتنقت الإسلام أسماء عديدة منها سارازان Sarazins . انظر :

Hayton , *Flor des Estoires*, pp. 220-1, 225, 227, 231, 234-252; Ghevod, *Hisoire des Guerres e des Conquetes des Arabes en Armenie* , trans. Chahnazarian G. V. (Paris, 1856), p. 2 .

وهذه التسمية مستخدمة في المراجع الأجنبية الحديثة، ويرى المؤرخ الفرنسي فيليب سوناك أنها مشتقة من الكلمة العربية مشرقى، انظر:

Senac, Ph., *Musulmans et Sarrasins au sud de La France* (Paris, 1980), p. 63 .

يقال أيضاً أن تلك التسمية قد أطلقها البيزنطيون على المسلمين، وإن الأصل اليوناني للكلمة هو "سارة قينوس Sarrakinus" وتعني عبيد سارة، وأن الرومان أطلقوا اسم Sarracenus على القبائل الرحل المستقرة على شواطئ نهري دجلة والفرات .

اسم محمد غنيم: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية ١٩٨٧م)، ص ٨٤ .
أما التسمية الثانية وهي تادجيك Tadjics وربما تكون الكلمة مشتقة من "بني طي"، انظر:

Arisda Gues de Lasdiverd, *Histoire d' Armenie* , trans. Prud' Homme E. (Paris, 1864), p. 43; Matthieu d'Edesse, *Chronique*, trrans. ed. Dulaurier, M.E, (Paris, 1858), pp. 367-8; Ghevod , *Hisoire* , p. 122 .

وهناك تسمية رابعة وقد أطلق المؤرخون الأرمن على المسلمين وهي اسم الإسماعيلية Ismaelites نسبة إسماعيل ابن إبراهيم عليه السلام، انظر:
Ghevod, *Hisoire*, pp. 6, 13, 17-9, 31, 114; Sébéos, *Histoir D'Eraclius*, trans. Macler F. (Paris, 1904), p. 95 .

وفي تسمية رابعة أطلقوا عليهم اسم الهجريين Agariens نسبة إلى هاجر زوج إبراهيم عليه السلام ووالدة ولده إسماعيل، انظر:

Ghevod, *Hisoire*, p. 11 .

وتارة خامسة يعرفونهم باسم المدينين "مدين يانيت" Madianites نسبة إلى المدينة المنورة، انظر:

Matthieu d'Edesse, Chronique, pp. 367-8; Ghevod, Hisoire, p. 11 .

Hayton , Flor des Estoires, pp. 225-3 . (٥٣)

(٥٤) في هذا المعنى أورد هثون في الفصل الأول من الكتاب الرابع قائلاً:
... Les Crestiens ont Juste Raison e Occasion de Movoivre Guerre et La
Pute Lignee de Mahomet Hayton, Flor des Estoires, pp. 220 .

(٥٥) انجيل متى : الإصحاح ٥، ٤٣-٤٤ .

عند التعرض لفكرة الحرب المقدسة نجد أننا في مواجهة تطور غريب ومتناقض حيث الانتقال من الرفض التام لفكرة الحرب في المسيحية الباكورة إلى فكرة الحرب المقدسة التي جعلت من الحرب أمراً من الرب يشنه بنفسه وينفذه من خلال المسيحيين الذين هم جنود المسيح ، وقد ورد في الإنجيل ما يكشف بوضوح أن المسيحيين مأمورون بعدم اللجوء إلى العنف أو الحرب ولكن عليه أن يواجه كل ذلك بالحب والخير فمثلاً كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون" ، كما يرفض الإنجيل مقابلة الشر بالشر والعنف بالعنف "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء ٠٠٠٠ لا يغلبك الشر، بل أغلب الشر بالخير" ، كما ورد أيضاً في هذا الصدد "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ."
ولا شك أن كل هذا وهو ماورد في الإنجيل يشير بوضوح إلى رفض المسيحية الحقيقية لفكرة الحرب بأنواعها .

قاسم عبده قاسم (دكتور): الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، دراسة عن الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م (دار المعارف ١٩٨٣م) ، ص ١٣-١٤ ، ٦٤ ؛ انجيل متى، الإصحاح ٢٦، ٤٧-٥٢ .

(٥٦) جاء في هذا التقرير ما يلي :

"Car il ont Occupeir Leur Heritage, Ce est La Terre Sainte Laquel Dieu a Promise as Crestiens; e Tienent Le Saint Sepulcre de Notre Seigneur Jhesu Crist Qui est Comencement de La Foi Crestiene .."

Hayton , Flor des Estoires, pp. 220

(٥٧) . Hayton , Flor des Estoires, pp. 220-1

(٥٨) . Hayton , Flor des Estoires, pp. 221

(٥٩) كان الناصر محمد في التاسعة من عمره حين تم أخياره لتولي السلطنة عام ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، ولم تدم سلطنته غير سنة واحدة استأثر خلالها بالسلطان الفعلي عدد من كبار الأمراء وانتهى الأمر بخلعهم. وفي عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م استدعى الناصر محمد من سجنه بالكرك ليلي السلطنة المملوكية للمرة الثانية، إلا أنه في عام في عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م زهد في الحكم نتيجة الأخطار الخارجية والداخلية فتظاهر بأنه خارج للحج وأقام ثانية في الكرك رافضا العودة ثانية إلى عرش سلطنته بالقاهرة . وفي جمادى الآخرة عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م عاد للمرة الثالثة إلى عرشه حيث استطاع بحنكة أن يسير أمور البلاد بطريقة آمنة وفرت الرخاء والازدهار في جميع الميادين واستمر في الحكم حتى وفاته عام ٧٤١هـ/ ١٣٤١م. للمزيد انظر:

المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ٢، "سنة أقسام" إلى عام ٧٤١هـ، نشره وعلق عليه محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨)، ج ٣، ٤، "سنة أقسام" تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٧٠- ١٩٧٢ م)، ج ١، ص ٨٠٦؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ جزء (القاهرة ١٣٤٨- ١٣٦١هـ/ ١٩٢٦- ١٩٥٦م)، ج ٨، ص ٥٥؛ مؤلف مجهول: سلاطين المماليك، نشر زترستين (لندن ١٩١٩م)، ص ٣٦؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، نشر وتحقيق، محمد محمد أمين (القاهرة ١٩٧٦م)، ج ١، ص ١٧٥.

(٦٠) للتفاصيل عن الجيش المملوكي انظر:

أنطوان خليل ضومط: الدولة المملوكية : التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (بيروت ١٩٨٢م)، ص ١٦- ٨٢.

(٦١) ذكر هثون في هذا المعنى قائلاً:

"... La Gent du Pais ne Valent Riens en Fait d' Armes, ne a Cheval, ne par Mer, ne par Terre ..." Hayton , *Flor des Estoires*, pp. 222 .

(٦٢) Hayton , *Flor des Estoires*, pp. 222 .

الجدير بالذكر أن المماليك ارتبطوا برباطتين، الأولى وهي رابطة الأستاذية أي الأستاذ الذي اشترى المملوك وتعهده بالتربية ثم اعتقه، لذلك يكن له كل احترام وتقدير ويضحى بنفسه من أجله؛ والثانية الخشداشية وهي رابطة الزمالة والأخوة أو الحزب الواحد الذي يجمع بين المماليك الذين تربوا في طباق واحد، إلا أنه بعد وفاة الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣٤١م وما صاحبه من سرعة تخريج المماليك انعكس على قلة ولائهم ففقدت رابطة الخشداشية جوهرها حتى غدت أحزاباً سياسية منقسمة على نفسها ، وانعدمت العلاقة بين المملوك الصغير والمملوك الكبير، وقل ولاء المملوك لأستاذه فضعفت سلطنة المماليك. للمزيد انظر:

المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٣٨٨؛ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٨٠ .

(٦٣) Hayton , *Flor des Estoires*, pp. 222-3 .

وقد ورد في المقريزي قائمة بعدد الأجناد علي اختلاف طوائفهم ورتبتهم في مصر دون تأريخ هذا التعداد، وورد في مصدره أن مجموع جند مصر بلغ ٢٤٦٥١ وهو رقم يقارب ما أورده هثون .

المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ٢ جزء (القاهرة ١٢٧٠م)، ج ٣، ٣٦٤ .

أما في مصدره الثاني "السلوك" فقد تحدث عن الجيش المملوكي في عهد السلطان الظاهر بيبرس بقوله (وكانت عدة عسكره اثني عشر ألفاً ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب، وكان هؤلاء خاصته، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش

الزحف، فإن اجتاحت استدعى أربعة أخرى، فإن اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة... السلوك، ج ٢/١، ص ٦٣٨.

(٦٤). Hayton, Flor des Estoires, pp. 223.

(٦٥) سكيت فلورنسا Florence عام ١٢٥٢م عملة ذهبية عرفت بالفلورين Florin نسبة إليها، وكان الفلورين يزن آنذاك ٣٠٥٣ جراما من الذهب الخالص.
Balard, M., Le Moen Age en Occident (Paris, 1999), p. 146.

(٦٦) للتفاصيل انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٥٦. وقد أورد

هتون في هذا الصدد قائلا

"Chascun Home d' Armes Ha Ses Soldees Ordonnees , ne Montent Plus de Cxx Florins . e Est Tenuz L'Ome a Cheval de Tenir III Chevaus , e un Chamail por Somer " Hayton, Flor des Estoires, pp. 223 .

(٦٧). Hayton, Flor des Estoires, pp. 223.

(٦٨) من عشائر البدو المنتشرة في بلاد الشام "آل مهنا وآل فضل"، وكانوا من أبرز من جلبوا للسلطان محمد الخيول من بلاد الشام فأصبحوا من أصحاب الخطوة لديه وأقطعهم عدة ضياع بأرض حماه وحلب.

القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٢٠٣-٢٠٨؛ المقرئزي: الخطط: ج ٢، ص ٢٢٤؛ المقرئزي: السلوك، ج ٢، ص ٥٢٦-٥٢٧؛ حلمي محمد سالم: اقتصاد مصر الداخلي وأنظمته في العهد المماليكي (الإسكندرية ١٩٧٧)، ص ٢٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام (القاهرة ١٩٦٥م)، ص ٢٠٦.

(٦٩). Hayton, Flor des Estoires, pp. 224.

يرجع أصل هذه الفرقة الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (ت ١٤٥هـ)، والذي نجح أتباعه في إقامة الدولة الفاطمية. ولكن هذه الفرقة الإسماعيلية تصدعت بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ، وقد عرفت هذه الفرقة فيما

بعد باسم النزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر. وقد عرفت الإسماعيلية بالباطنية لأنهم كانوا يؤمنون بأن للعقيدة ظاهراً وباطناً وهو الأمر الذي أدى إلى تأويل أحكام الشريعة مما جعل الناس يطلقون عليهم اسم الباطنية. وكان هناك تنظيم دقيق لهذه الطائفة يضم شيخ الجبل، وكبار الدعاة، والدعاة، والرفاق والفدائيين. وكان الفئة الأخيرة هي المسؤولة عن تنفيذ سلسلة الاغتيالات الشهيرة في عصر الحملات الصليبية التي راح ضحيتها الكثير من الصليبيين والمسلمين السنة على السواء.

وكان يتم اختيار هؤلاء الفدائيين وتدريبهم بعناية فائقة، حيث ورد أن شيخ الجبل قد أنشأ قرب قلعة حديقة وحرص أن يجعل بها جميع صفات الجنة من العسل والخمر واللبن والفواكه وحور العين، وكان يتحدث مع هؤلاء عن أوصاف الجنة ثم يعطيهم شيئاً مخدراً، قد يكون من نبات الحشيش، وهو ما جعلهم يعرفون باسم "الحشيشية" ثم يحملهم بعد أن يفقدوا الوعي إلى الحديقة السابقة حتى إذا أفاقوا ظنوا أنها الجنة. ثم يعمد إلى تخديرهم ثانية وإخراجهم منها إلى قلعة الشيخ الذي يسألهم بعد أن يفيقوا ماذا رأوا فيقطعون أنهم رأوا الجنة بعينها وأوصافها فيعدهم بدخولها إذا قتلوا هذا وذاك. وكان ذلك هو دافعهم الأساسي وراء الاغتيالات التي يرتكبوها في كل مكان. وقد استمرت هذه الطائفة قائمة حتى تمكن المغول من القضاء عليها على يد هولاكو في ديسمبر عام ١٢٥٦م/٦٥٣هـ.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٥٥٠-٥٦٠؛ من مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ حسين عطية: أنطاكية والمسلمون، ص ٤١٠-٤١١.

(٧٠) Hayton , Flor des Estoires, pp. 228-31

عن حالة الاضطراب التي عانت منها دولة المماليك والصراع الدائم بين طوائف المماليك في ذلك الوقت، انظر: حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، (القاهرة ١٩٦٧م) ص ١٤-٢٥.

(٧١) . Hayton , Flor des Estoires, pp. 235-6 .

(٧٢) المقصود هنا هو "الملك المنصور نجم الدين" أمير ماردين من أسرة الأراتقة، وكان قد خلف شقيقه "شمس الدين" في حكم تلك المدينة .

Hayton , Flor des Estoires, p. 237 .

وعن ترجمة "الملك المنصور نجم الدين" انظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٤٤ .

وتعتبر "ماردين" حصن منيع مبني على قمة جبل شاهق، فيه من العدة والسلاح مالا يمكن حصره على حد قول ابن حوقل . ابن حوقل: كتاب صورة الأرض (بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، ص ١٥٢ .

وقال ياقوت: "إنها قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة الفراتية مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة، وذكر أن دورها كالدرج كل دار فوق الأخرى، وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدروب ليس دون سطحها مانع والماء عندهم قليل وأكثر شربهم من صهاريج معدة في بيوتهم . وذكر ابن بطوطة في رحلته إليها عام ٧٢٨هـ/١٣٢٧م "هي مدينة عظيمة في سفح جبل من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأحسنها وأتقنها أسواقنا، ولها قلعة شماء من مشاهير القلاع كانت تسمى بالشهباء" .

ياقوت الرومي الحموي: معجم البلدان، ١٠ أجزاء (بيروت د ت)، ج ٧، ص ٣٦١؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جزءان، (باريس ١٨٧٧م)، ج ٢، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٧٣) . Hayton , Flor des Estoires, p. 237 .

(٧٤) عندما أصبح خانا للتتار تسمى باسم "اولجايتو محمد خدا بندا" وقد ورد على شكل كربودا Carbauda، ويطلق العامة عليه اسم "خربندا" ومعناها بالعربية عبد الله . انظر:

ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٦٨.

(٧٥) سار غازان، رغم إسلامه على سياسة أسلافه الوثنيين منذ عهد هولاكو التي كانت ترمي إلى التعاون مع الغرب الأوروبي ضد المماليك المسلمين، وقد أرسل إلى البابا بونيفاس الثامن Boniface VIII (١٢٩٤-١٣٠٣م) يخبره أنه على استعداد للتحالف مع ملوك أوروبا ضد سلاطين المماليك، وأنه موافق على إعطاء بيت المقدس بعد سقوطه إلى المسيحيين ، وهذا ما شجع البابا وأعلن الدعوة إلى حرب صليبية عام ١٣٠٠م أي في عهد الخان الأسبق .

Iorga , N. , Les Tartars et Le Saint Siege (Paris , 1915) , pp. 91-2 .

يبدو أن هثوم اعتقد أن التتار لديهم الرغبة القوية في إزالة أثر الهزائم التي حلت بهم على أيدي المماليك في عامي ١٣٠٢، ١٣٠٤م ، الأمر الذي دفعه لتعليق آمالا كبيرة على مساعدتهم للصليبيين في خربهم المنتظرة ضد المسلمين . من مرسي الشيخ: أوروبا والتتار، ج ٣٩٦ .

Hayton , Flor des Estoires, p. 237-8 . (٧٦)

Hayton , Flor des Estoires, p. 238 . (٧٧)

Hayton , Flor des Estoires, p. 239-40 . (٧٨)

Hayton , Flor des Estoires, p. 240 . (٧٩)

حكيم أمين: دولة المماليك، ص ١٤-٢٥ .

يعتبر " حصن الكرك" قلعة حصينة من طرف الشام من نواحي البلقاء وتقع على سن جبل عال تحيط بها الأودية من جميع الجهات عدا جهة الرض . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٣؛ البغدادى: مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبلقاع، ٣ أجزاء، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة ١٩٥٤م)، ج ٣، ص ١١٥٩؛ أبو

طالب الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (سان بطرسبرج ١٨٦٦م)،
٢١٣.

Hayton , Flor des Estoires, p. 241 . (٨٠)

Hayton , Flor des Estoires, p. 241 -2 . (٨١)

on , Flor des Estoires, p. 235-53 . (٨٢)

(٨٣) شيني "جمعها شواني وهي أكبر أنواع السفن الحربية، وكان يجدف بمائة وأربعين مجدافاً، ويركب فيه المقاتلة والجداقون.

المقريري: الخطط، ج ٢، ص ١٩٤-١٩٥؛ ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ المقريري: الخطط، ج ٢، ص ١٩٤-١٩٥.

Hayton , Flor des Estoires, p. 242-3 . (٨٤)

Hayton , Flor des Estoires, p. 243 . (٨٥)

Hayton , Flor des Estoires, p. 244 . (٨٦)

Hayton , Flor des Estoires, p. 245 . (٨٧)

Hayton , Flor des Estoires, p. 245-6 . (٨٨)

Hayton , Flor des Estoires, p. 246 . (٨٩)

(٩٠) كان الكرج يسكنون في جبل القيق وقد قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس.

ابن العبري: تاريخ مختصر الدول (بيروت ١٩٥٨م)، ص ٣٥٠.

وتقع "بلاد الكرج" على السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز، فحدودها الشمالية تتاخم بلاد داغستان وسهول أذربيجان، وتحدها جنوباً أرمنية ومقاطعة قرص Kars، أما حدودها الغربية فتطل على البحر الأسود للمزيد انظر:

فايز نجيب إسكندر: الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج (القاهرة ١٩٨٨م)، ص ٧-٢٨؛
فايز نجيب إسكندر: "الكرج والأتراك السلاجقة في عهد داوود الثاني"، مجلة المؤرخ
العربي، الصادرة عن اتحاد المؤرخين العرب (مارس ١٩٩٣م)، ص ٢٥٢-٢٥٣

Hayton , Flor des Estoires, p. 246-7. (٩١)

Hayton , Flor des Estoires, p. 247. (٩٢)

(٩٣) انطلق جودفري بويون Godefroi de Bouillon من اللورين وأمضى بضعة
أسابيع في المسير عبر نهر الراين والوصول إلى نهر الدانوب إلى أن وصل إلى
الحدود المجرية عند لايتا Leitha، ثم اجتاز بلاد المجر ووصل إلى مانجولوز
Mangieloz قرب الحدود البيزنطية، وبعدها بلغ سملين Semlin الواقعة على
الحدود المجرية البيزنطية، ثم وصل الجيش الصليبي إلى فيليبوبولي
Philippopoli وواصل سيره حتى وصل إلى أدرنة وتوقف الجيش الصليبي بعد
ذلك في سليميريا Selymbria على شاطئ بحر مرمرة ثم بلغ القسطنطينية .

Occ., (Paris, Albert d'Aix, Liber, "Historia Hierosolomitana", R.H.C., H.
1879) IV, II, pp. 1-7; Chalandon F., Histoire de la Première Croisade
(Paris, 1925) pp. 112-9 ; Grousset, R, Histoire des Croisades (Paris ,
1948) , I , pp. 14-15 .

Hayton , Flor des Estoires, p. 248. (٩٤)

(٩٥) تعتبر طرسوس Tarse من المدن القديمة وبها قبر المأمون عبد الله بن
هارون الرشيد حيث مات بموضع يعرف باسم اليزنون بالقرب من طرسوس عام
٢١٨هـ .

ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق الدكتور عبد العزيز
الخويطر (الرياض، ١٩٧٦م)، ص ٤٣٨ - ٤٣٩؛ النويري: نهاية الأرب في فنون

الأديب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤٥٩ معارف عامة، ج ٣، ١٠٧؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ٣٩٢ .

وتقع تلك المدينة الأرمنية على الساحل الشمالي للبحر المتوسط بالقرب من حلب باتجاه الغرب، وهي مدينة مسورة في غاية الخصب بناها الرشيد عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م وأكملها بعد ذلك بعامين، ولها خمسة أبواب هي باب الجهاد وباب الصفصاف، وباب الشام، وباب البحر، والباب المسدود، والنهر - أي نهر سيمون - يشق في وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد، وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين. البغدادي: مرصد الإطلاع، ج ٣، ص ٨٨٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٣٣ .

R.H.C. , Doc. Arm. , I , p. XL .

Hayton , Flor des Estoires, p. 248 . (٩٦)

(٩٧) ميناء السويدية أو ميناء القديس سمعان St. Simeon وقد سمي كذلك تخليداً لهذا الناسك، وتقع مدينة السويدية الساحلية عند مصب نهر العاصي على مسافة قريبة من أنطاكية وفي غربها، وبينها وبين أنطاكية نحو ١٤ ميلاً .

بطرس توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس ، ترجمة حسين محمد عطية (القاهرة ١٩٨٨م)، ص ١٧١؛ ريمون داجيل: تاريخ الفرنجة في بيت المقدس، ترجمة د/ حسين محمد عطية (الإسكندرية ١٩٩٨ م)، ص ٩٤-٩٥ .

Hayton , Flor des Estoires, p. 249 . (٩٨)

(٩٩) تعتبر اللازقية مدينة ساحلية وتقع شمال مرقلية، وقد قال عنها القلقشندي: إنها "أجل مدينة بالساحل منعة وعمارة ولها ميناء حسنة، ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعين ميلاً" .

القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٥ .

(١٠٠) حصن المرقب عند هُثون يعادل حصن الأكراد في الأهمية والحصانة، بل وفاقه لوقوعه على ساحل البحر المتوسط بالقرب من بانياس، وبينه وبين طرسوس نحو اثني عشر ميلاً .

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٥٠٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٤٥-١٤٦ .

ويذكر المؤرخ الفرنسي كلود كاهن Claud Cahen أنه إذا تمكن المسلمون من بسط سيادتهم على حصن المرقب فسوف يشكلون خطورة بالغة على الوجود الصليبي في تلك المنطقة ، وقد سبقه إلى ذلك الراهب الأرمني هُثون مما يؤكد إلمامه التام بالمنطقة التي يكتب عنها .

Cahen , Cl., La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades (Paris, 1940) , p. 519 .

(١٠١) قيسارية Cesaree مدينة تطل على ساحل البحر المتوسط، بينها وبين الرملة ٣٢ ميلاً، وبينها وبين عكا ٣٦ ميلاً . انظر:

أبو الفدا: تقويم البلدان، نشر رينو و ديسلان (باريس ١٨٤٠م)، ص ٢٣٩ .

(١٠٢) Hayton , Flor des Estoires, pp. 249-50 .

(١٠٣) كان "التركمانيون" ينتشرون في معظم أنحاء بلاد الشام وخاصة مناطق الفرات، ولقد عدد القلقشندي عشر طوائف من تركمان بلاد الشام .

القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ١٩٠، ٢٨٢؛ ابن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، نشر وتصحيح بولس راويس (باريس ١٩٨٤م)، ص ١٠٤-١٠٥ .

وقد استعانت سلطنة المماليك ببعض قبائل التركمان لحماية أطرافها من الأعداء المتآخمين لها وهم الصليبيون والتتار، بالإضافة إلى إخضاع القبائل التركمانية الأخرى التي كانت تغير على السلطنة.

القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (بيروت ١٩٦٩)، ص ٣٣٩-٣٤٠.

Hayton , Flor des Estoires, pp. 250-1. (١٠٤)

Hayton , Flor des Estoires, pp. 251-2. (١٠٥)

Hayton , Flor des Estoires, pp. 252. (١٠٦)

(١٠٧) للتفاصيل انظر:

المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٨١٠؛ ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر،

جزءان (القاهرة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م)، ج ٢، ص ٢٣٩-٢٤٠.

D'Ohson , Mongols , IV , pp. 101-6 , 132, 141 ; Chabot , " Relation du Roi Argoun avic L'Occident " , in , R.O.L. , (1894) pp. 127-8 ; Howorth , The Mongols , III , pp. 387-8 ; Barthold , " Gaikhatu " , in , Enc. Isl. , II , p. 135 .

(١٠٨) مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، ص ٤٠٢؛ العريني: المغول، ص ٢٧٩؛ عبد

السلام: الدولة المغولية، ص ١٤٩.

(١٠٩) العريني: المغول، ص ٢٨٠؛ مرسى الشيخ: أوروبا والتتار، ص ٤٠٣.

(١١٠) اعتلى نيقولا الرابع Nicolas IV الكرسي البابوي في ٢٠ فبراير عام

١٢٨٨م وكان سلفه هو هونوريوس الرابع Honorius IV قد توفى في ٣ أبريل

عام ١٢٨٧م فظل الكرسي البابوي شاغراً طوال الفترة من ٣ أبريل ١٢٨٧ حتى

٢٠ فبراير ١٢٨٨م.

Grousset, Histoire , III , P. 716 .

Andre , M. , Lè Rienheureux Raymond Lulle (1232-1315) (١١١)

(Paris , 1900) , pp. 195-6 ; Perroquet , A. , Apologie de La Vie de

Raymond Lulle (Paris , 1667) , pp. 1-390 ; Paris , *Histoire Litteraire* , pp. 1-385 .

(١١٢) **فيدنس بادوا** Fidence de Padoue راهب فرنسيسكاني عاش فترة طويلة في بيت المقدس وشهد استعادة بيبرس البندقداري لمدينة صفد عام ١٢٦٦م وأنطاكية عام ١٢٦٨م من الغزاة الصليبيين، وفي عام ١٢٧٤م كلفه البابا جريجوار العاشر ١٢٧١-١٢٧٦م Gregoire X بإعداد مشروع حملة صليبية لاستعادة الأراضي المقدسة، لذا قام بزيارة مصر وبلاد الشام وقبرص ومملكة أرمينية الصغرى وبلاد فارس، وفي عام ١٢٩١م سلم مشروع صليبيه إلى البابا الجديد نيقولا الرابع ١٢٨٨-١٢٩٢م Nicolas IV . وكان أهم ما تضمنه هذا المشروع فرض حصار اقتصادي على المسلمين وتحويل تجارة الهند إلى البحر الأحمر ومصر إلى بلاد فارس ومملكة أرمينية الصغرى، وتحريم تجارة العبيد لإضعاف دولة المماليك وكان ذلك أهم ما تضمنه كتابه المعروف باسم "كتاب تحرير بيت المقدس" Liber Recuperationis Terre Sancte .

Atiya, *Crusade* , pp. 36-44; De Laville le roulx , *La France*, I, pp. 19-25.

(١١٣) **ولد مارينو سانودو** Marino Sanudo في مدينة البندقية حوالي عام ١٢٦٠م ومات عام ١٣٤٣م . وقد أعد مشروعاً لإعداد حملة صليبية بعنوان "كتاب أسرار المؤمنين بالصليب لاسترداد الأراضي المقدسة والاحتفاظ بها Liber Secretorum Fidelium Crusis Super Terre Sanctae Recuperatione et Conservation " وقد ركز سانودو في مشروع حملته على ضرورة العمل على إضعاف مصر وإفقارها اقتصادياً على أن تقوم الأساطيل الأوروبية بفرض حصار بحري على كل من دمياط ورشيد والإسكندرية ومنع تجارة الرقيق من التدفق على الأسواق المصرية والتحالف مع الحبشة لغزو مصر

من الجنوب، ومنع الغرب الأوروبي من استيراد السلع المصرية، ونقل تجارة الشرق الأقصى من مصر إلى بلاد فارس ومملكة أرمينية الصغرى تماماً، أما عن المرحلة الثالثة والأخيرة فقد حلم سانودو بالاحتلال الصليبي للأراضي المقدسة. لمزيد من التفاصيل انظر:

Atiya, *Crusade* , pp. 114- 27 .

(١١٤) للتفاصيل عن مجمع فيينا انظر:

Dvornik, F. *Hisoire des Conciles* (Paris, 1962), pp. 97-102 ; Atiya , *Crusade* , pp. 85-7.

Housley, N., *Documents on The Latter Crusades 1274-1580* (New (١١٥) York, 1996), p. 42; Mas Latrie, L., *Histoire de L'Ile de Chypre*, (Paris , 1852-1861), II , pp. 118-25 .

(١١٦) يعتبر بيير ديبوا Pierre Dubois من رجال القانون الفرنسيين وقد قدم

مشروعاً لحملة صليبية لاستعادة الأراضي المقدسة وعنوانه "استعادة الأراضي المقدسة De Recuperatione Terre Sanctae" وقدمه إلى الملك الفرنسي لويس الرابع وطال فيه أوروبية بالاشتراك في حملة صليبية بزعامة الملك الفرنسي، وقد حرص على معالجة مشكلة تمويل تلك الحملة، كما دعا إلى سحق الداوية ومصادرة أملاكهم وفرض ضريبة تركات على رجال الدين مع السماح لهم بالزواج، للمزيد من التفاصيل انظر:

Dubois , *Pierre de Recuperatione Terre Sancte* , ed. Langlois (Paris , 1891), pp. 1-110 ; Atiya , *Crusade* , pp. 48-52 .

(١١٧) ولد "ريمون لول Raymond Lull" الكتالوني عام ١٢٣٢م وأعدم رجماً

بالحجارة في بجاية (بالجزائر حالياً) عام ١٣١٥م. وكان أول شاعر وفيلسوف وألف مئات من الكتب بطريقة جديدة في الفلسفة مبنية على اتحاد المعرفة، وأوضح ذلك في كتابه الذي يحمل عنوان "شجرة العلوم Arbor Scientiae" وكان من بين أقدم المستشرقين الذين أتقنوا اللغة العربية حتى إنه كان

باستطاعته نظم الشعر العربي، وقد تبنى في كتابه "التحرير النهائي" Liber Fine فكرة جديدة لاستعادة الأراضي المقدسة، إذ اقترح هذا الراهب الفرنسيكاني أن يتسلح الصليبيون بسلاح المحبة والسماحة بدلاً من تعاملهم مع المسلمين بالسيف والرمح، أي أنه أراد إقناع المسلمين باعتناق المسيحية، ومن هذا المنطلق بدأ بالتبشير بالمسيحية في الشمال الأفريقي ولاسيما في تونس التي تسلك إليها ثلاث مرات إلى أن انتهى الأمر بإعدامه رجماً بالحجارة كما سبق القول.

Andre, **Raymond**, pp. 1-198 ; Atiya, **Crusade**, pp. 72-94 .

(١١٨) تأثر "جلفانو دو ليفانتو" Galvano de Levanto الجنوبي بما كتبه ثاديو

نابولي Thaddeo de Naples فنقل عنه الكثير. وقد مارس مهنة الطب، ثم اعتزلها لينخرط في إحدى الهيئات الدينية. وقد أعد كتاباً أهداه للملك الفرنسي فيليب الخامس ١٢٨٥-١٣١٤م Philippe Le Bel وكان بعنوان "كتاب العبور المقدس للصليبيين لقتال المسلمين واستعادة الأراضي المقدسة" Liber Sancti Passagii Christicolarum Terre Sancte . وقد استعرض فيه مقترحاته على أمراء الغرب الأوروبي لاستعادة الأراضي المقدسة واقترح على الملك الفرنسي تولي القيادة العامة للجيش الصليبية، ومن المعتقد أنه كتب هذا المشروع فيما بين عامي ١٢٩١ و ١٢٩٦م . وللمزيد من التفاصيل

انظر:

Kohler, Ch., "Traite de Recouvrement de La Terre Sainte" in, **R.O.L.**, VI, (Paris, 1898), pp. 344-354; Housley, N., **The Later Crusades from Lyons to Alcazar 1272-1580** (Oxford, 1992), pp. 23-4 ; Atiya, **Crusade**, pp. 71-2 .